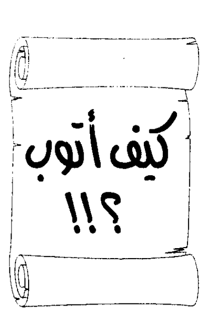

كيف أتوب
؟!!

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م

رقم الإيداع بدار الكتب

٩٧/١١٦٥٤

الناشر

مكتبة سوق الآخرة


كيف أتوب؟!
« وأكثر الناس لا يعرفون قدر التوبة ولا حقيقتها
فضلاً عن القيام بها علمًا وعملاً وحالاً ولم يجعل
اللَّه محبته للتوابين إلا وهم خواص الخلق لديه»
ابن القيم
جمع وترتيب
محمد بن حسين يعقوب



إلهي

أتيت أطباء عبادك ليداووا لي خطيئتي فكلهم عليك يدلني

إهداء

إلى كل شاب يريد العودة إلى اللَّه

فحيَّهلا ، إن كنت ذا هِمَّةٍ فقد ... حدا بك حادي الشوقِ فاطْوِ المراحلا
وقُلْ لمنادي حُبِّهم ورضاهم ... إذا ما دَعَا « لبيك » ألفًا كواملا
ولا تنظر الأطلال من دونهم فإن ... نظرت إلى الأطلال عُدْنَ حوائلا
ولا تنتظر بالسير رُفقة قاعدٍ ... ودَعْه ؛ فإن الشوق يكفيك حاملا
وخذ منهمُ زادًا إليهمْ وسِرْ على ... طريق الهدى والفقر تصبحُ واصلا
وأحْيِ بذكراهمْ سُراك إذا وَنَتْ ... ركابك فالذكرى تعيدك عاملا
وإما تخافَنَّ الكلال فقل لها ... أمامَكِ وِرْدُ الوصل فابْغِ المناهلا
وخذ قَبْسًا من نورهم ثم سِرْ بِهِ ... فنورهـم يهديك ليس المشاعلا
وحيَّ على جنات عدنٍ بقربهم ... منازلُك الأولى بها كنـت نازلا
ولكن سباك الكاشحون لأجل ذا ... وقفت على الأطلال تبكي المنازلا
فدعها رسومًا دارساتٍ فما بها ... مَقِيـل فجاوزها فليست منازلا
وقل ساعدي يا نفس بالصبر ساعةً ... فعند اللُّقا ذا الكدُّ يصبح زائلا
فما هي إلا ساعةٌ ثم تنقضي ... ويصبحُ ذو الأحزانِ فرحانَ جاذلا

ابن القيم

مُقدِّمة

الحمد لله الذي لا نَاقِضَ لما بناه.. ولا حافظ لما أفناه.. ولا مانع لما أعطاه.. ولا رادَّ لما قضاه.. ولا مُظْهِرَ لما أخفاه.. ولا ساتر لما أَبْداه.. ولا مُضِلَّ لمن هداه.. ولا هادي لمن أعماه..

سبحانه.. أنشأ الكون بقدرته وما حواه.. ورزق الصونَ بمِنَّته ومنِّه من والاه.. ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]..

سبحانه.. خلق آدم بيده وسوّاه.. وأسكنه في حرم قربه وحماه.. وأمره كما شاء ونهاه.. ثم أجرى عليه القدر بموافقته هواه.. فنزعت يد التفريط ما كساه.. ثم تاب الله عليه فرحمه واجتباه.. وحاله ينذر من يسعى فيما اشتهاه..

طرد إبليس وكانت السموات مأواه.. فأَصَمَّه بمخالفته كما شاء وأَعْمَاه.. وأبعده عن بابه للعصيان وأشقاه.. وفي قصته نذير لمن خالف الله وعصاه..

أَلاَنَ الحديد لداود كما تَمَنَّاه.. يأمن لابسه من يلقاه.. ثم صرع صانعه بسهم قدر ألقاه.. فلما تسوَّر المحراب خَصْمَاه.. أظهر جدال التوبيخ فَخصِمَاه.. ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ [ص: ٢٤]..

ذهب ذو النون مغاضبًا فالتقمه الحوت وأخفاه.. فندم لما رأت عيناه ما جنت يداه.. فلما أقلقه كرب ظلام تغشاه.. تضرع مستغيثًا ينادي مولاه.. ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فنجَّيْنَاه..

أحمده سبحانه وتعالى.. تعالى ربنا سبحانه وحاشاه.. أن يخيب راجيه وينسى من لا ينساه..

أخذ موسى من أمه طفلاً ورعاه.. فساقه إلى حجر عدوه فربَّاه.. وجاد عليه بنعم لا تحصى وأعطاه.. فمشى في البحر وما ابتلت قدماه.. وتبعه عدوه فأدركه الغرق وواراه.. حتى إذا قال : آمنت.. إذا جبريل بالطين يسد فاه.. وكان من غاية شرف موسى ومنتهاه.. أنه خرج يطلب نارًا فناداه.. ﴿ **يَا مُوسَىٰ .. إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ** ﴾.. شرف أمته شرفًا بما أولاه.. فقال ربنا لهم : ﴿ **وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [البقرة: ٤٧] ولكن جئنا بـ ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ [آل عمران: ١١٠] أخذناه.. فالحمد لله .

خلق محمدًا فاختاره على الكل واصطفاه .. صلى الله عليه وآله وسلم وقربه حتى كان قاب قوسين وأدناه.. فأوحى إليه من سرّه وكلمته ما أوحاه.. ووعده المقام المحمود فاللهم بلِّغْه مناه..

الحمد لله الذي دلَّنا بنبيه عليه وعرفناه.. وأجَلَّنا بالقرآن العظيم وعلَّمَناه.. وهدانا إلى بابه بتوفيقٍ أودعناه..

أحمده سبحانه حمدًا لا ينقضي أولاه ولا ينفذ أخراه.. فالحمد لله.. الحمد لله .. الحمد لله..

وأشهد أن لا إله إلا الله.. وأشهد أن محمدًا رسول الله.. صلى الله على محمد ما تحركت الألسن والشفاه.. وعلى آله وصحبه صلاة دائمة تدوم بدوام ملك الله.. ثم سلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد

ففي جلسة مناجاة مع النفس.. ومحاسبة لها على تفريطها.. ساءلت نفسي وساءلتني.. كيف تعرفين الله.. وتقرين بنعمه عليك ظاهرة وباطنة.. ثم تبارزينه بالمعاصي في الليل والنهار؟!!

وقلت لها : أما تخشين الخسف؟!.. أما تخافين العقاب؟!..

وقلت لها : ألا تتوقين إلى الجنة بحورها وحريرها ونعيمها الذي لا ينفد؟!.. ألستِ تهربين من النار بزمهريرها وأغلالها وعذابها الذي لا ينتهي؟!!

ثم قلت لها : اختاري..

فقالت : أتمنى يومًا أتوب فيه إلى الله..

فقلت لها : أنتِ في الأمنية فاعملي..

قالت : فكيف ؟!..صف لي الطريق.. وبيِّن لي العقبات.. قل لي : كيف أتوب ؟!!

أخي التائب.. لابد أن تعلم أن أول الطريق وقفة .. والسير في الطريق عمل.. وزاد الطريق توبة..

واعلم أن الموت يأتي فجأة.. يقول ربنا سبحانه وتعالى: **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن**

يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٣ - ٥٩]. .

واعلم **أخي التائب** أنك تطلب السعادة.. وتروم النجاة.. وترجو المغفرة.. يقول ربنا: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ**﴾ [طه: ٨٢]. .

فالتوبة ـ **أخي التائب** ـ هي ملاك أمرك ، هي مبعث حياتك ، هي مناط فلاحك .

يقول ابن القيم :

منزل "التوبة" أول المنازل وأوسطها وآخرها.. فلا يفارقه العبد السالك ولا يزال فيه إلى الممات.. وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به واستصحبه معه ونزل به.. فالتوبة هي بداية العبد ونهايته وحاجته إليها في النهاية ضرورية.. كما أن حاجته إليها في البداية كذلك.. وقد قال الله تعالى : ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور: ٣١].. وهذه الآية في سورة مدنية خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم.. ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه.. وأتى بأداة « لعل » المشعرة بالترجي.. إيذانًا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح.. فلا يرجو

الفـلاح إلا التائبون. . جعلنا الله منهم.

ولما كانت "التوبة" هي رجوع العبد إلى الله. . ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين. . وذلك لا يحصل إلا بهداية الله إلى الصراط المستقيم. . ولا تحصل هدايته إلا بإعانته وتوحيده. . فقد انتظمتها سورة الفاتحة أحسن انتظام. . وتضمنتها أبلغ تضمن. . فمن أعطى الفاتحة حقها ـ علمًا وشهودًا وحالاً ومعرفة ـ علم أنه لا تصح له قراءتها على العبودية إلا بالتوبة النصوح . . فإن الهداية التامة إلى الصراط المستقيم لا تكون مع الجهل بالذنوب. . ولا مع الإصرار عليها . . فإن الأول جهل ينافي معرفة الهدى. . والثاني غي ينافي قصده وإرادته . . فلذلك لا تصح التوبة إلا بعد **معرفة الذنب.. والاعتراف به.. وطلب التخلص من سوء عواقبه أولاً وآخراً.**

وها نحن نشرع في بيان ذلك أتم بيان إن شاء الله .

إن الموضوع الذي نطرحه هنا من الأهمية بمكان بحيث لا يستغني عنه شاب ولا شيخ. . موضوعنا مهم للمبتدئ والمنتهي. . للسالك والواصل. . للتلميذ والمريد. . إنه موضوع الساعة وكل ساعة. . موضوعنا :

كيف أعود إلى الله ؟؟

إن هذا الموضوع الملح جدٌّ خطير في هذه الآونة بالذات ، بعد أن صرنا أعاجم لا نفهم لغة القرآن[١] . .

فإن القرآن نزل أول ما نزل بلسان عربي مبين. . فكان من السهل على العرب الذين أرسل فيهم النبي المختار ﷺ أن يفهموا لغته ولسانه. . وتهتز قلوبهم لسحر بيانه. .

ومن حكمة الخالق جل وعلا أنه أرسل الرسل بلسان قومها حتى يبينوا لهم شريعة الله تعالى. . قال تعالى : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾ [إبراهيم: ٤].

---

(١) وحال تلكم اللغة الباسلة مع أبنائها يندى له الجبين خجلاً ، فهي ما تزال شامخة رغم انصراف أبنائها عنها ، فقد هانت عندنا لما استسلمنا لغزو أعدائنا لها ، بداية من التقليل من شأنها وازدرائها ، ثم الدعوة إلى إحلال [العامية] محلها . مما ترتب عليه ما نعانيه ـ الآن ـ من سقم الأفهام فكثيرًا ما نظن أننا نعي الأمر فإذا نحن نتوهمه .

والمقصود : أن المصاب فينا لا في تراثنا ولا كتب سلفنا فإنها يسيرة يسيرة. لكن العيب في ذوقنا اللغوي.

ويكفي في هذا المقام أن نتدبر كلمات الوليد بن المغيرة في تأثير القرآن عليه وبين ما تكنه صدورنا تجاه لغة القرآن ، فالوليد ـ مع كفره وجحوده وانصرافه النفسي والوجداني عن القرآن ـ قال:

إن له لحلاوة.. وإن عليه لطلاوة.. وإن أعلاه لمثمر.. وإن أسفله لمغدق.. وإنه ليعلو ولا يعلى عليه .

ونحن ـ مع إسلامنا وتقديسنا للقرآن ـ لا نستشعر تلك المعاني إلا بصفة القداسة للقرآن .

انظر حول قضية لغتنا الباسلة رسالة الشيخ / محمود شاكر « في الطريق إلى ثقافتنا » .

ولقد ذكرنا قبلُ أن كتابات السلف صارت بالنسبة لشباب الصحوة كلامًا صعبَ الفهم والتطبيق[1] .. فقد تغيرت لغة الكلام في عصرنا[2] .. وصارت كلمات السلف لدينا تحتاج إلى إعادة شرح وتفصيل..

ونضرب لهذا مثلاً : فقد جاء في تعريف اليقظة على لسان ابن القيم أو أبي إسماعيل الهروي شيخ الإسلام : أن اليقظة : هي انزعاج القلب لروعة الانتباه..

ونحن على يقين من أن هذا الكلام الآن صار يحتاج إلى شرح ثم إلى بسط.. رغم أنه كان إذا طرح على السلف فسرعان ما يتفهمون مراده.. ثم يعملون بمقتضاه..

وعليه فسوف نحاول في هذا المقام توضيح مسائل التوبة إلى أقصى ما نستطيع.. فمن وافقه الأمر ممن يبغي السلوك إلى الله فبِها ونعمت.. ومن لم يجد فليصبر نفسه إلى النهاية.. فسيجد ما ينشرح له صدره إن شاء الله.. فما لم يتأت بالجهد في الشرح والكلام.. يتأتى إن شاء الله وقدَّر بالدعاء.. فإن الله سميع بصير.. وبالإجابة جدير.. ونسأل الله أن يرزقنا توبة نصوحًا.. فالتوبة رزق..

ولاستثمار الوقت فيما يفيد نبدأ الموضوع مباشرة بالسؤال الأول والأهم.

---

(١) مرة أخرى نبين لا لصعوبته وإنما لجهلنا وجفائنا مع اللغة ومع الشرع ومع اللّٰه .

(٢) وأقصد بتغيير لغة الكلام لا للأفضل ـ لا سمح اللّٰه ـ ولكن بالتدني للغة العامية وتلقيحها بألفاظ غير عربية .

لماذا نتوب ؟!

من غرس في نفسه شرف الهمة فَنَبَتَ

نَبَتْ نفسه عن الأقذار

ومن استقر ركن عزيمته وثَبَتَ

وَثَبَتْ نفسه عن الأكدار

لماذا نتوب ؟

إنها قضية ملحة تأتي نتيجة جهل الناس في عصرنا بالدين. . وجهلهم حتى بالمعاصي التي يقترفونها. . فإن معنى المعاصي معنى كبير يندرج تحته الكثير مما قد يظنه الناس في عصرنا مباحًا. .

فرب تساؤل تطرحه امرأة متبرجة. . لماذا أتوب؟. . وجهي جميل فلم أستره؟. .

نفس السؤال يطرحه شاب. .إن متعتي أجدها في السيجارة فَلِمَ أتركها؟!. . أهوى مشاهدة التليفزيون. . فَلِمَ أدعه؟!. . أنا لا أحب التقييد والارتباط. . فَلِمَ أتقيد بالصلاة؟!. . أليس ينبغي على الإنسان فعل ما يسعده؟!. . فالذي يسعدني هو ما تسمونه معصية. . وأنا غير مقتنع بهذه التسمية. . فَلِمَ أتوبُ؟!

إنها قضية تطرح نفسها.. ويسمعها الكثير والكثير منا حينما يدعو إنسانًا إلى اللَّه.. والإجابة على هذا السؤال في أن نعرف لماذا نتوب؟.

النية في التوبة

أولاً : لكوننا نعود بالتوبة إلى الصراط المستقيم :

فقد قال ربنا : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦]. . لا ليعصون. . لا ليلعبوا. . لا ليتبعوا أهواءهم. . ولا حتى ليعمروا الأرض وينجبوا الذرية. . أبدًا. . وإنما ﴿ **لِيَعْبُدُونِ** ﴾. . فالعاصي ليس بعابد. . فإذا قلنا: تُبْ. . فالمراد : أن تعود إلى أصل الغاية من خلقك. . وفي ذلك من المصالح ما لا يخفى!!

ثانيًا : طاعةً لأمر الله عز وجل :

فهو الذي قال في كتابه العزيز : ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور: ٣١]. . طاعة لأمر الله ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا** ﴾ [التحريم: ٨]. . أمر الله. . الملك . . المهيمن . . مالك الملك. . الذي ينبغي أن نمتثل ونذعن لأمره. . فنتوب تَعَبُّدًا. . طاعة للملك.

ثالثًا : فراراً من الظلم إلى الفلاح :

قال ربنا : ﴿ **وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [الحجرات: ١١].

اعلم - أخي في اللَّه -: أن الظلم كل الظلم في انصرافك عن التوبة. . في سيرك حيث تخالف ربك. . وإصرارك على المضي قدمًا في طريق هواك. . وهو الهلاك. . فتظلم نفسك حين توقعها في شراك

المعاصي.. في حين بشر ربنا التائبين بالنصرة والفلاح.. فعلق حصول الفلاح المرجو لهم على حصول التوبة منهم إليه. فقال ربنا عز وجل : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]

فهذه الآية مدنية.. خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه.. بعد إيمانهم وصبرهم.. ثم علق الفلاح بالتوبة.. وأتى بأداة « لعل » المشعرة بالترجي.. إيذانًا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح.. فلا يرجو الفلاح إلا التائبون.. جعلنا الله منهم.

رابعًا : لطلب السعادة :

إن كثيرًا من العصاة يعيشون سعادة وهمية زائلة مؤقتة.. بل على التحقيق إنها ليست بسعادة.. إذا رأيت رجلاً يستلذ بالتراب عن شهي الطعام والحلوى.. فهل يكون حِسُّهُ سليمًا؟! إطلاقًا.. إن الذي يأكل التراب فيستلذ به.. أو الحجارة فتكون شهوته.. فلا شك أنه سقيم.. مريض يحتاج إلى علاج.. وكذلك من يتلذذ بالمعاصي.. إنه يشعر بذلك.. لا لأن المعاصي لذيذة.. أو أن السيئات ممتعة.. وإنما لأن قلبَهُ صار فاسدًا.. فاللهم أصلح قلوبنا..

فهذا يحتاج إلى إصلاح قلبه.. فمثله كمثل الرجل في مكان دبغ الجلود.. فإنه لا يشم الرائحة الكريهة إلا عندما يخرج منه.. وهذا العاصي مثله فنقول له : اخرج من المعاصي.. تُبْ إلى الله فعندها ستعرف سوء ما كنت عليه وقُبْحَ ما كنت تفعل.. **كم من العصاة حين تاب قال : كم كنت قذرًا.. كم كنت سيئًا.. كم كنت خاسرًا.. كم كنت لاهيًا.. كم كنت غافلاً..** إنه بذلك يعلم يقينًا أن ما كان

عليه عين الباطل.. وأنه قد كان غافلاً أو مغفلاً.. فاللهم تب على عصاة المسلمين..

وأسوق إليك ـ أخي في الله ـ بعض كلمات التائبين نقلتها بنصها من كتاب « العائدون إلى الله » لمحمد المسند :

* كنت أبكي ندمًا على ما فاتني من حب الله ورسوله.. وعلى تلك الأيام التي قضيتها بعيدة عن الله عز وجل .

(امرأة مغربية أصابها السرطان وشفاها الله منه)

* نعم لقد كنت ميتًا فأحياني الله ولله الفضل والمنة (الشيخ أحمد القطان)

* وعزمت على التوبة النصوح والاستقامة على دين الله.. وأن أكون داعية خير بعد أن كنت داعية شر وفساد.. وفي ختام حديثي أوجهها نصيحة صادقة لجميع الشباب فأقول: يا شباب الإسلام لن تجدوا السعادة في السفر ولا في المخدرات والتفحيط.. لن تجدوها أو تشموا رائحتها إلا في الالتزام والاستقامة.. في خدمة دين الله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ماذا قدمتم يا أحبة للإسلام ؟ أين آثاركم ؟ أهذه رسالتكم ؟

شباب الجيل للإسلام عُودوا فأنتم روحه وبكم يَسُودُ
وأنتم سِرُّ نَهْضَتِه قديمـــًا وأنتم فجره الزاهي الجديد

(من شباب التفحيط سابقًا)

* كما أتوجه إلى كل أخت غافلة عن ذكر الله.. منغمسة في ملذات

الدنيا وشهواتها أن عودي إلى الله - أُخَيَّةُ - فوالله إن السعادة كل السعادة في طاعة الله. (طالبة تائبة)

* وختامًا أقول لكل فتاة متبرجة.. أنسيت أم جهلت أن الله مُطلع عليك؟! أنسيت أم جهلت أم تجاهلت أن جمال المرأة الحقيقي في حجابها وحيائها وسترها؟!! (فتاة تائبة)

* كما أصبحت بعد الالتزام أشعر بسعادة تغمر قلبي فأقول : بأنه يستحيل أن يكون هناك إنسان أقل مني التزامًا أن يكون أسعد مني.. ولو كانت الدنيا كلها بين عينيه..ولو كان من أغنى الناس.. فأكثر ما ساعدني على الثبات - بعد توفيق الله - هو إلقائي للدروس في المصلى ، بالإضافة إلى قراءتي عن الجنة بأن فيها ما لا عين رأت.. ولا أذن سمعت.. ولا خطر على قلب بشر.. من اللباس والزينة.. والأسواق والزيارات بين الناس.. وهذه من أحب الأشياء إلى قلبي.. فكنت كلما أردتُ أن أشتري شيئًا من الملابس التي تزيد عن حاجتي أقول : ألبسها في الآخرة أفضل .

(فتاة انتقلت من عالم الأزياء إلى كتب العلم والعقيدة)

* وقد خرجت من حياة الفسق والمجون.. إلى حياة شعرت فيها بالأمن والأمان والاطمئنان والاستقرار. (رجل تاب بعد موت صاحبه)

* وانتهيت إلى يقين جازم حاسم.. أنه لا صلاح لهذه الأرض.. ولا راحة لهذه البشرية.. ولا طمأنينة لهذا الإنسان.. ولا رفعة.. ولا بركة.. ولا طهارة.. إلا بالرجوع إلى الله.. واليوم أتساءل.. كيف كنت سأقابل

ربي لو لم يَهْدِني؟!! (طالبة تائبة)

* بدأ عقلي يفكر وقلبي ينبض وكل جوارحي تناديني : اقتل الشيطان والهوى.. وبدأت حياتي تتغير.. وهيئتي تتبدل.. وبدأت أسير على طريق الخير.. وأسأل الله أن يحسن ختامي وختامكم أجمعين.

(شاب تاب بعد سماعه لقراءة الشيخ علي جابر ودعائه)

" إذا علم هذا.. فاعلم أن حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا في محبته.. ولا في خوفه.. ولا في رجائه.. ولا في التوكل عليه.. ولا في العمل له.. ولا في الحلف به.. ولا في النذر له.. ولا في الخضوع له.. ولا في التذلل والتعظيم والسجود والتقرب.. أعظم من حاجة الجسد إلى روحه.. والعين إلى نورها.. بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به.. فإن حقيقة العبد روحه وقلبه.. ولا صلاح لها إلا بإلاهها الذي لا إله إلا هو.. فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره.. وهي كادحة إليه كدحًا فملاقيته.. ولابد لها من لقائه.. ولا صلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها له.. ورضاه وإكرامه لها..

ولو حصل للعبد من اللذات والسرور بغير الله ما حصل.. لم يدم له ذلك.. بل ينتقل من نوع إلى نوع.. ومن شخص إلى شخص.. ويتنعم بهذا في وقت.. ثم يعذب به ولابد في وقت آخر..

وكثيرًا ما يكون ذلك الذي يتنعم به ويتلذذ به غير مُنَعِّمٍ له ولا مُلِذٍّ.. بل قد يؤذيه اتصالُه به ووجودُه عنده ويضره ذلك.. وإنما يحصل له بملابسته

من جنس ما يحصل للجَرِب من لذَّة الأظفار التي تحكُّه. . فهي تُدمي الجلدَ وتخرقه. . وتزيد في ضرره. . وهو يؤثر ذلك لما في حكِّها من اللذة. .

وهكذا ما يتعذب به القلب من محبة غير الله هو عذاب عليه ومضرة وألم في الحقيقة لا تزيد لذته على لذة حك الجرب. . والعاقل يوازن بين الأمرين ويؤثر أرجحهما وأنفعهما. . والله الموفق المعين وله الحجة البالغة كما له النعمة السابغة "[١] .

إخوتاه. . إن الجزاء من جنس العمل. . والله سبحانه وتعالى يفرح بتوبتك. . فإذا تبت أعْقَبَكَ سعادة عظيمة. . جزاء منه على توبتك. . ففي الحديث المشهور : أن رسول الله ﷺ قال : « **لَلَّهُ أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية[٢] مهلكة.. معه راحلته عليها طعامه وشرابه.. فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش. ثم قال : أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت. فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه ، فاللَّه أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده**»[٣] .

إنني أريدك ألا تمر على هذا الحديث مرورًا عابرًا وتقول : أعرفه. .

(١) « طريق الهجرتين » لابن القيم (ص٧٧) .

(٢) أي البرية التي لا نبات فيها .

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٠٨) كتاب الدعوات . باب التوبة، ومسلم ـ واللفظ له ـ (٢٧٤٤) كتاب التوبة. باب في الحض على التوبة والفرح بها . والترمذي (٢٤٩٧) (٢٤٩٨) ، كتاب صفة القيامة والرقائق و الورع ، والإمام أحمد في « مسنده » (٣٦٢٠) مسند المكثرين من الصحابة.

قد سمعته كثيرًا.. يجب أن نتوقف لنتأمل المعنى كأنك تسمعه لأول مرة: كيف بلغ به الفرح حتى يخطئ فيقول : اللهم أنت عبدي وأنا ربك؟! .. كم كانت فرحته عندئذ فأخطأ؟!.. بكم تُقَدَّرُ؟!.. إنها لا تُقَدَّرُ.. إنها أعظم من أن تُوصف.. وهذا دليل على أن حب الله للعبد أشد من حب العبد لله.. انتبه.. ففي طي هذه الكلمات من المعاني ما لا تحيط به الألفاظ.. إن الله يحبه فيفرح بتوبته.. والجزاء من جنس العمل..

تأمل - **أخي التائب** - فالله يفرح لأنك تُبْتَ.. فيجازيك بأن يفرحك ويسعدك.. وإذا أردت شاهدَ هذا فانظر إلى الفرحة التي يجدها التائب توبةً نصوحًا.. والسرور واللذة التي تحصل له.. فإنه لما تاب إلى الله ففرح الله بتوبته أعقبه فرحًا عظيمًا.. لذا تجد التائب في منتهى السعادة في قمة الراحة.. في أعظم النشوة.. هذا عن التائب توبة نصوحًا..

أما التائب بمجرد الكلام فهذا شيء آخر.. ليس عليه مدار الحديث هنا.. بالله عليك هل وجدت أسعد حالاً وأقر عينًا من عبد لله لم يتعلق قلبه إلا بالله؟!!.. يقوم الليل فيصلي ويناجي ربه.. ثم يصبح فيدخل المسجد ويجلس ليذكر ربه.. ثم يعود فينام هنيئًا يتعبد بنومه يرجو الثواب بالنوم.. يقول - كمعاذ - « **أنام أول الليل فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم فأقرأ ما كتب اللّه لي فَأَحْتَسِبُ قَوْمَتي كما أحتسب نومتي** »(١) .

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤٢) ، (٤٣٤٥) كتاب المغازي ، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع .

وقوله: «وقد قضيت جزئي». قال الدمياطي: لعله أَرَبي. قال الحافظ: لكن الذي جاء في الرواية صحيح . والمراد به أنَّه جَزَّأ الليل أجزاء . جزءًا للنوم، وجزءًا للقراءة والقيام [الفتح (٧/ ٦٥٩)] .

أهذا أَمَّنْ ليس في قلبه سوى المرأة.. المال.. السيارة والعمارة.. والجار والجارة.. والصديق والصديقة.. والعشيق والعشيقة؟!.. أيهما أسعد؟!!

تفكروا أيها العقلاء.. أيهما أسعد : رجل يقول : إلهي.. ربي.. سيدي.. فيقول **الله** له : لبيك عبدي.. أم رجل قد تعلق قلبه بامرأة تسومه سوء العذاب.. أو مال يرغم أنفه في التراب.. أو بالمنصب فذاق بسببه الوبال.. مَنِ السعيد؟!.. من السعيد حقًّا ؟!!

إن السعيد حقًّا.. هو الطائع للّه.

خامسًا ـ الفرار من العذاب والوحشة والحجاب.

نادانا ربنا فقال : ﴿ **فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ** ﴾ [الذاريات: ٥٠].. إننا بالتوبة نَفِرُّ إلى **الله**.. نفر من الهوى.. نفر من المعاصي.. نفر من الذنوب.. نفر من الشيطان.. نفر من النفس.. نفر من الدنيا.. نفر من الشهوات.. نفر من المال.. نفر من الجاه.. نفر إلى المَلِكِ الذي بيده هذا كله.. فإن رأى الخير أن يعطيك كل هذا أعطاك.. وإن رأى الخير لك في أن يمنعه عنك منعك كما يمنع الطبيبُ المريضَ شرب الماء وهو عليه هين.. « **إن اللّه يحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم سقيمه الماء وهو يحبه** ».

إننا بحاجة إلى أن نقف على الحُجُبِ العَشَرة بين العاصي وبين **الله**.. فإن بين العاصي وبين **الله** عشرة حجب بعضها أكثف من بعض.. كل

حجاب أغلظ من الذي يليه.. ولا سبيل للعبد للوصول إلى الله إلا بتخطي تلك الحجب العشرة..

تأمل - حبيبي في الله - تأمل حين يكون بينك وبين الله عشرة من الحجب.. إنني عندما أفكر في هذا أتذكر رجلاً كان قد سُجِنَ يومًا فأذن له بزيارة أهله.. فكان يراهم من وراء سلك.. من ورائه حديد.. من ورائه سلك.. ثم أهله.. فتساءلت ما الذي يمكن أن يراه من بعد ذلك؟.. ثم كيف يتكلم؟.. فإذا تكلم فماذا يقول؟! .. وكيف يسمعون؟.. اللهم رحمتك نرجو فأدركنا بها.. فإذا تفكرت في حال ذلك الرجل.. فما بالك بحجب عشرة بينك وبين الله.. لو أنها جدر من طين ما سمعت وما رأيت.. لو أنها حجب من ورق ما سمعت وما رأيت.. فقلت : هذا هو السر في جفاء أهل عصرنا مع الله .. ووقوع تلك الحجب بين الناس وبين الله ..

اللهم أزل الحجب بيننا وبينك حتى نعرفك فنحبك.. نعم حجب عشرة بعضها أشد كثافة من بعض :

الحجب العشرة بين العبد وبين الله

١ ـ الحجاب الأول : الجهل بالله :

ألاَّ تعرفه.. فمن عرف الله أحَبَّه.. وما عرفه قط من لم يحبه.. وما أحبه قط من لم يعرفه.. لذلك كان أهل السنة فعلاً طلبة العلم حقًّا هم أولياء الله الذين يحبهم ويحبونه.. لأنك كلما عرفت الله أكثر أحببته أكثر..

أنصت إلى نداء شعيب خطيب الأنبياء لقومه وهو يقول: ﴿**وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ**﴾ [هود: ٩٠].

اسمع إلى قول ربك جلَّ جَلاَلُه : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**﴾ [مريم: ٩٦].

إن أغلظ الحجب هو الجهل بالله وألاَّ تعرفه.. فالمرء عدو ما يجهل..

إن الذين لا يعرفون الله يعصونه.. من لا يعرفون الله يكرهونه.. من لا يعرفون الله يعبدون الشيطان من دونه.. ولذلك كان نداء الله بالعلم أولاً : ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ [محمد: ١٩].

فالدواء : أن تعرف الله حق المعرفة.. فإذا عرفته معرفة حقيقية فعند ذلك تعيش حقيقة التوبة.

يقول ابن القيم :

إن للتوبة لأسرارًا ولطائفَ.. أسرار التوبة ثلاثة :

" أن ينظر إلى الجناية التي قضاها اللَّه عليه فيعرف مراد اللَّه فيها إذ خلَّى بينه وبين إتيانها.. فإن اللَّه عز وجل إنما خَلَّى بين العبد والذنب لمعنيين : أحدهما : أن يعرف عزته في قضائه.. وبره في ستره.. وحلمه في إمهال راكبه.. وكرمه في قبول العذر منه.. وفضله في مغفرته ".

لابد أن تعرف أيها العبدُ ربَّك.. إلهك.. لتنسف الحجاب الأول حجاب الجهل.. تعلم ارتباط الأمر والخلق.. الجزاء والوعد والوعيد.. تعلم كل ذلك بمعرفة أسماء الله وصفاته.. تعلم أن ذلك موجب الأسماء والصفات وأثرها في الوجود.. فإن كل اسم وصفة مقتضٍ لأثره.. وموجبه متعلق به..

إن هذا المشهد يطلعك على رياض مونقة من المعارف والإيمان..

من بعضها : أن يعرف العبد **عزَّةَ اللَّه في قضائه..** أنه سبحانه العزيز الذي يقضي بما يشاء.. في واقعنا ترى إنسانًا ينظر إلى نفسه بعين الرضا والكمال.. يتعامل مع امرأة ويقول: إن هؤلاء الملتزمين ينظرون إلى الآخرين بعين الازدراء .. ويظنون أن كل من تعامل مع امرأة لا يفكر إلاّ في شهوته.. ويقول : هؤلاء مرضى .. وتراه يردد مثل ذلك.. وهو دائم الاختلاط بالنساء.. كما يصنع بعض أصحاب المحلات ومديري الشركات..

يقولون : إن هذه الأمور لا تخطر ببال أحدهم.. وهذا من حسن ظنهم بأنفسهم.. وسوء ظنهم بالله الذي شَرَّع حَجْبَ النساء عن الرجال.. ومنع التعامل بينهم.. فيعاقبه الله سبحانه وهو العزيز الحكيم بأن يقع في المحظور.. ثم من بعد يأتيك يبكي فيقول : وقعت في حب امرأة ممن أتعامل معهن.. وأنا أشعر بأنني أتمرغ في الوحل.. فهنا تستشعر عزة الله في قضائه أنه العزيز الذي لا يغالب.. يستطيع أن يُحَوِّلَ قلبك كيف شاء.. فتجد نفسك وأنت تسير محترزًا.. محترسًا محافظًا.. مُدَقِّقَ النظر.. متأكدًا من الصواب.. فإذا بقدمك تَزِلُّ.. تقع في معصية ثم بعد المعصية تقول: ما الذي أوقعني في هذه السقطة ؟.. هل أنا ممن يرتكب مثل هذا الذنب القذر؟!!.. أنا أكذب مثل هذه الكذبة؟!!.. أنا يمكن أن أقع في اغتياب إنسان؟!!.. إن هذه ليست من أخلاقي ولا من طباعي:.. لست أنا!! .

هذا لتعرف عزته في قضائه.. إنه العزيز الذي لكمال عزته حكم على العبد وقضى عليه بأن قَلَّبَ قلبه وصَرَّف إرادته على ما يشاء.. وحال بين العبد وقلبه.. بل وجعل العبد مريدًا شائيًا لما يريد الله ويشاء.. تعرف الله العزيز.. فإذا عرف العبد عز سيده.. ولاحظه بقلبه.. وتمكن شهود العز من قلبه.. كان الاشتغال بالذُّل.. وصدق اللُّجأ إليه.. هو نجاته.. اللهم نجنا وأَنْجِ بنا يا رب.. ثم تعرف أن الكمال والحمد لله وحده

وأن تعرف **بره في ستره**.. بره الذي حَلَّ في ستره عليك حال ارتكابك للذنب.. فكم من عاصٍ نفس معصيتك فُضِح وسترك الله.. فتتشاغل بالتوبة والشكر.. تنشغل بالشكر على الستر.. والتوبة من الذنب.. قبل أن

يفعل بك ما فعل بغيرك . .

ومنها : أن **تشهد حِلْمَ اللَّه**.. تعرف حلمه في أنه أمهلك ولو شاء لعاجلك بالعقوبة . .

ومنها : أن **تعرف كرم اللَّه الكريم**.. أن تعرف كرمه في أنك إذا تبت فاعتذرت قَبِل توبتك . . وأن تشهد الغفور ذا الفضل العظيم . . وهو يغفر لك بعد كل ما أسأت . . فتكمل معرفتك بأسماء الله . . الرحيم . . العزيز . . البر . . التوَّاب . . الملك . . القاهر . . القادر . . البديع . . الودود . . اللطيف . . الحليم . . حين تعرف الله . . القريب . . الرقيب . . المقيت . . الحسيب . . حين تعرف الله . . الجميل . . الماجد . . حين تعرف الله لا تملك إلا أن تحبه . . فينقشع الحجاب الأول .

٢ ـ الحجاب الثاني : البدعة .

فمن ابتدع حُجِب عن الله ببدعته . . فتكون بدعته حجابًا بينه وبين الله حتى يتخلص منها . . قال ﷺ : « **من أَحْدَثَ في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ**»[1] .

وانظر إلى قول الله جل جلاله في الكفار أنهم ﴿**لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ**﴾ [الأعراف: ٤٠] **لماذا؟!!**

(١) متفق عليه . أخرجه البخاري (٢٦٩٧) كتاب الصلح . باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود .

ومسلم (١٧١٨) كتاب الأقضية . باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور .

هنا لطيفة من كلام سلفنا في قول الله عز وجل : ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾ [فاطر: ١٠] . . فالمؤمن حين يعمل الأعمال الصالحة تخترق السموات . . وتخترق الحجب تصعد إلى الله كأنها تفتح في السموات طريقًا . . وتفتح أبوابًا . . فإذا مات وصعدت روحه . . وجدت الأبواب مفتحة . . لأن الذي فتح الأبواب . . وَمَهَّدَ الطرق . . وسبَّل السبل . . هي أعماله . . التي تصعد من الصالحات والذكر . . أما إذا لم يكن له أعمال صالحة . . ظلت الأبواب مُغْلَقَة . . والطرق مُوصَدة . . والسبل مسدودة . . فإذا مات جاءت روحه لتصعد . . غُلِّقَتْ دونها أبواب السماء . . كما لم يفتح بعمله لنفسه سبيلاً . . قال ربنا : ﴿ **وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ**﴾ [الروم: ٤٤] والعمل الصالح له شرطان :

الإخلاص : أن يكون لوجه الله وحده لا شريك له .

والمتابعة : أن يكون على سنة النبي ﷺ .

ودون هذين الشرطين لا يسمى صالحًا . . فلا يصعد إلى الله . . لأنه إنما يصعد إليه العمل الطيب الصالح . . فتكون البدعة حجابًا تمنع وصول العمل إلى الله . . وبالتالي تمنع وصول العبد . . فتكون حجابًا بين العبد وبين الرب . . لأن المبتدع إنما عَبَدَ على هواه . . لا على مراد مولاه . . فهواه حجاب بينه وبين الله . . من خلال ما ابتدع مما لم يشرع الله . . فالعامل الصالحات يُمَهِّد لنفسه . . أما المبتدع فإنه شر من العاصي.

تنبيه :

رأيت بدعة جديدة في هذه الأيام.. وهو أن يطلق الرجل جزءًا من اللحية.. ولا يعفيها بالكلية.. هذه بدعة شر من حلق اللحية.. لأن حالق اللحية عاصٍ.. والذي يطلق هذا الجزء مبتدع.. لذلك نقول : إن المبتدع الذي يعبد الله على غير سنة رسول الله ﷺ.. أعماله تكون حجابًا بينه وبين الله .

٣ ـ الحجاب الثالث : الكبائر الباطنة

وهي كثيرة كالخيلاء.. والفخر.. والكبر.. والحسد.. والعجب.. والرياء.. والغرور.. هذه الكبائر الباطنة أكبر من الكبائر الظاهرة.. أعظم من الزنا وشرب الخمر والسرقة.. هذه الكبائر الباطنة إذا وقعت في القلب.. كانت حجابًا بين قلب العبد وبين الرب.

ذلك أن الطريق إلى اللَّه إنما تقطع بالقلوب.. ولا تقطع بالأقدام.. والمعاصي القلبية قطاع الطريق

يقول ابن القيم :

"وقد تستولي النفس على العمل الصالح.. فتصيره جندًا لها.. فتصول به وتطغى.. فترى العبد : أطوع ما يكون.. أزهد ما يكون.. وهو عن اللَّه أبعد ما يكون " فتأمل..!!

٤ ـ الحجاب الرابع : حجاب أهل الكبائر الظاهرة

كالسرقة . . وشرب الخمر . . وسائر الكبائر . .

إخوتاه.. ينبغي أن نفقه في هذا المقام . . أنه لا صغيرة مع الإصرار . . ولا كبيرة مع الاستغفار . . والإصرار هو الثبات على المخالفة . . والعزم على المعاودة . . وقد تكون هناك معصية صغيرة فتكبر بعدة أشياء وهي ستة :

كيف تكبر الصغائر؟؟

أولاً : بالإصرار والمواظبة :

مثاله : رجل ينظر إلى النساء . . والعين تزني وزناها النظر . . لكن زنا النظر أصغر من زنا الفرج . . ولكن مع الإصرار والمواظبة . . تصبح كبيرة . . إنه مُصِرٌّ على ألا يغض بصره . . وأن يواظب على إطلاق بصره في المحرمات . . فلا صغيرة مع الإصرار

ثانيًا : استصغار الذنب :

قلت لأحد المدخنين ـ ذات مرة ـ : اتَّقِ الله . . التدخين حرام . . ولقد كبرت سنك . . يعني قد صارت فيك عدة آفات:

أولها : أنه قد دَبَّ الشَّيْبُ في رأسك .

ثانيًا : أنك ذو لحية .

ثالثًا : أنك فقير .

فهذه كلها يجب أن تَرْدَعَك عن التدخين . . فقال : هذه معصية صغيرة . .

كونك تقول : هذه صغيرة . . فإنها تكون عند الله كبيرة بالضبط كما أن ابنك قد يعمل الخطأ . . فإذا قلت له: هذا عيب يا ولد . . فإذا قال لك : وما في ذلك؟ . . وأي شيء يعني ذلك ؟ . . بسيطة!! . . مُسْتَصْغِرًا مخالفتك . . مستهينًا بأمرك . . أفلا تغضب من صنيعه؟!! . . أفلا يكبر غضبك عليه؟

وكذلك حين تعصي ثم تقول لله : وماذا في ذلك ؟ . . ما هي المشكلة؟!

فترى المدخن يقول: أنا أحسن ممن يتعاطى هيروين . .

أو يقول : أنا أرحم ممن يشرب الخمر .

أو يقول : أنا أنظر أفضل ممن يزني .

أو تقول صاحبة الإيشارب : أنا أفضل ممن تكشف شعرها . . وهكذا.

والسؤال هنا : من الذي قال لك مثل ذلك؟!!

ربما لو استطعت لشربت . . أو ربما لم تترك الهيروين لله . . وإنما لخوفك على جسمك . . أو لخوفك من الإدمان . . وبعد ذلك لا تجد ما تشتري به المخدِّر . . ربما لأن السعر باهظ . . ربما كيلا يقول الناس أنك لا تحتمله . . أو حتى لا تتسبب في فضيحة لنفسك ولأهلك . . أليس ذلك كله ممكنًا؟!! . . وإنما عليك أن تتفهم . . **أنك لو كنت صادقًا في أنك تركت الهيروين ابتغاء مرضاة اللَّه.. لكنت من الأولى تركت السجائر.. فانتبه.**

ثالثًا : السرور بالذنب :

فتجد الواحد منهم يقع في المعصية.. ويسعد بذلك.. أو يتظاهر بالسعادة.. وهذا السرور بالذنب أكبر من الذنب.. فتراه فرحًا بسوء صنيعه.. كيف سب هذا؟؟.. وسفك دم هذا؟.. مع أن « **سباب المسلم فسوق وقتاله كفر** »[1] .

أو أن يفرح بغواية فتاة شريفة.. وكيف استطاع أن يُشَهِّرَ بها.. مع أن الله يقول : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور: ١٩].

نعم انتبه.. سرورك بالذنب أعظم من الذنب..

فمثلاً: يقوم أحدهم بعمل خطة حتى يأكل أموال الناس بالباطل.. خطة محكمة مدبرة.. يجمع كل قرش من أموال الناس.. ثم يقول : لقد أخذت كلَّ أموالهم.. سرورك بالذنب أعظم من الذنب.. وترى أحدهم يكذب.. حتى يظهر بريئًا أمام الناس.. ثم يقول : الحمد لله على ما اقترفه من (الكذب).. اتق الله.. فالذنب يكبر عند السرور به.

رابعًا : أن يتهاون بستر الله عليه :

اللهم استرنا ولا تفضحنا.. أَدِمْ علينا يا رب سترك وعافيتك.. اشملنا يا رب بسترك الجميل.. واجعل تحت الستر ما ترضى به عنا.. والله لولا

(١) متفق عليه أخرجه البخاري (٤٨) الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله، ومسلم (٦٤) كتاب الإيمان باب بيان قول النبي ﷺ : « **سباب المسلم فسوق وقتاله كفر** ».

ستر الله علينا لما زل لسانٌ بذكر خير فينا أبدًا.. والله لولا ستر الله علينا لبصق الناس علينا..

إذا رأيت الناس يعجبون بك.. فاعلم أنهم إنما يعجبون بستر الله عليك.. لكن لو اطلعوا على حقيقتك.. فسيضربونك بالنعال.. فالحمد لله..

نعم إن الذي يتهاون بستر الله .. فلا يعرف قيمته.. فيستبطئ غضبه وفضيحته..

الرجل الذي أراد أن يزني بامرأة قال لها : ما عاد يرانا إلا الكواكب.. قالت : فأين مكوكبها؟!..

ورجل قال لامرأة ـ حين خلا بها ـ : أَغلقتِ كل الأبواب؟!.. قالت: نعم أغلقت كل الأبواب.. إلا الباب الذي بيننا وبين الله.. هذا لا ينغلق..

وفي معنى الاستهانة بستر الله.. يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :

"يا صاحب الذنب لا تأمن سوء عاقبته.. ولما يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا عملته: قلة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال ـ وأنت على الذنب ـ أعظم من الذنب.. وضحكك وأنت لا تدري ما الله صانع بك أعظم من الذنب.. وفرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب.. وحزنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب.. وخوفك من الريح إذا حركت ستر بابك ـ وأنت على الذنب ـ ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب "..

ألاَّ يوجل قلبك من الله.. ويوجل من أن يراك البشر على معصية؟!!.. هذا تهاون .. إن التهاون بستر الله أكبر من الذنوب لكونه يكاد يكون شركًا..

خامسًا : المجاهرة :

أن يبيت الرجل يعصي.. والله يستره.. فيحدث بالذنب.. فيهتك ستر الله عليه.. يجيء في اليوم التالي ليحدث بما عصى وما عمل!!.. فالله ستره.. وهو يهتك ستر الله عليه.

قال ﷺ : « **كل أُمتي معافى إلا المجاهرون.. وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره اللَّه عليه فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا.. وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر اللَّه عنه** »[1] .

سادسًا : أن يكون رأسًا يقتدى به :

فهذا مدير مصنع.. أو مدير مدرسة.. أو في كلية.. أو شخصية مشهورة.. ثم يبدأ في التدخين.. فيبدأ باقي المجموعة في التدخين مثله.. ثم بعدها يبدأ في تدخين البانجو.. فيبدأ الآخرون يحذون حذوه..

هكذا فتاة قد تبدأ لبس البنطلون الضيق [استريتش].. يتحول بعدها الموضوع إلى اتجاه عام.. حتى هذه الظاهرة انتشرت في مجتمع الملتزمين.. أن تجد إنسانًا يقابل أختًا على الطريق واقفة.. فيعرض خدماته

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري (٦٠٦٩) كتاب الأدب. باب ستر المؤمن على نفسه. ـ واللفظ له ـ ومسلم (٢٩٩٠) كتاب الزهد والرقائق . باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه .

عليها.. مالك بها؟!.. لماذا تعرض خدماتك عليها؟!.. فإن ما فعلته ـ ولْنَقُلْ بِحُسْنِ نية ـ قد تحول إلى سنة في الإخوة.. فتكون سيئة كبيرة..

وهكذا يكون الحال إذا كنت ممن يقتدى بك . فينطبق عليه الحديث القائل : « **من سَنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»[1] .

٥ ـ الحجاب الخامس : حجاب أهل الصغائر :

وكما ذكرنا إن الصغائر تعظم.. وكم من صغيرة أدت بصاحبها إلى سوء الخاتمة .. والعياذ بالله .

فالمؤمن هو المعظم لجنايته يرى ذنبه ـ مهما صغر ـ كبيرًا لأنه يراقب اللَّه.. كما أنه لا يحقرن من المعروف شيئًا لأنه يرى فيه مِنَّة الله وفضله.. فيظل بين هاتين المنزلتين حتى ينخلع من قلبه استصغار الذنب واحتقار الطاعة .. فيقبل على ربِّه الغفور الرحيم التواب المنان المنعم فيتوب إليه فينقشع عنه هذا الحجاب .

٦ ـ الحجاب السادس : حجاب الشرك .

وهذا من أعظم الحجب وأغلظها وأكثفها.. وقطعه وإزالته بتجريد التوحيد.. وإنما المعنى الأصلي الحقيقي للشرك هو تَعَلُّق القلب بغير الله تعالى.. سواء في العبادة.. أو في المحبة.. سواء في المعاني القلبية.. أو في الأعمال الظاهرة.

(١) أخرجه مسلم (١٠١٧) كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة .

والشرك بغيض إلى اللَّه تعالى. . فليس ثمة شيء أبغض إلى الله تعالى من الشرك والمشركين.

والشرك أنواع. . ومن أخطر أنواع الشرك : الشرك الخفي وذلك لخفائه وخطورته حتى يقول الله عن صاحبه : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢ - ٢٤] .

فجاهد أخي في تجريد التوحيد. . سَلِ الله العافية من الشرك. . واستغذ بالله منه «**اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا أعلمه وأستغفرك لما لا أعلمه**» .

هنا يزول الحجاب. . مع الاستعاذة. . والإخلاص. . وصدق اللُّجْأ إلى اللَّه .

حجاب الشرك وهو أن يتعلق قلبك بغير الله سبحانه وتعالى وهي مسألة محتاجة إلى طرح طويل فيتعلق القلب بالولد. . بابنك . . قد يتعلق القلب بمالٍ من نوع معين. . قد يتعلق القلب بنوع سيارة . . قد يتعلق القلب بوظيفة. . قد يتعلق القلب بشخص. . فيصير هذا الشخص أو هذا الشيء الذي تعلق به القلب حجابًا بين العبد وبين الله ومعنى تعلق القلب أن يطيعه في معصية الله أو يقدم أوامره مخالفة لله . . نسأل الله أن يطهر قلوبنا.

٧ ـ الحجاب السابع : حجاب أهل الفضلات والتوسع في المباحات :

قد يكون حجاب أحدنا بينه وبين الله بطنه. . فإن الأكل

حلال.. والشرب حلال.. لكن النبي ﷺ قال : « **ما ملأ آدميٌّ وعاء شرًا من بطن**»[١] .. فإن المعدة إذا امتلأت.. نامت الفكرة.. وقعدت الجوارح عن الخدمة.. إن الحجاب قد يكون بين العبد وبين الله ملابسه.. فقد يعشق المظاهر.. وقد قال ﷺ : « **تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة**»[٢] فسماه عبدًا لهذا فهي حجاب بينه وبين ربه.. تقول له : قَصِّرْ ثوبك قليلاً.. حيث قال الرسول ﷺ : « **ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار** »[٣] يقول : أنا أخجل من لبس القميص القصير.. ولماذا أصنع ذلك؟.. هل تراني لا أجد قوت يومي؟!! إن الصحابة كانوا فقراء.. فبدلاً من أن يكون قميص أحدهم طويلاً .. فيقصر أحدهم ثوبه مقدار عشرة سنتيمترات ويتصدق.. من أجل أن يحصل الثاني على الثوب.. وهذا كذب ورب الكعبة.. من يدرس السيرة ويعرف حالة المجتمع.. يتفطن إلى أنهم لم يكونوا على تلك الحال لا يجدون القوت.. بالعكس.. لو أرادوا أن يأكلوا الذهب لأكلوه.. ولكنهم كانوا يريدون الله والدار الآخرة..

انتبه إلى هذا.. فالمقصود أن هذه الأعراف.. والعادات.. والفضلات.. والمباحات.. قد تكون حجابًا بين العبد وبين ربه.. قد تكون كثرة النوم حجابًا بين العبد وبين الله.. النوم مباح لكن أن تنام فلا تقوم

(١) أخرجه الترمذي ـ واللفظ له ـ (٣٣٨٠) كتاب الزهد باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل ، وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه (٣٣٤٩) كتاب الأطعمة باب الاقتصاد وكراهية الشبع.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٨٧) كتاب الجهاد والسير باب الحرابة في الغزوات في سبيل الله .

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٨٧) كتاب اللباس . باب ما أسفل من الكعبين ففي النار. والنسائي (٥٣٣١) كتاب الزينة. باب ما تحت الكعبين من الإزار.

الليل.. ولا تصلي الصبح.. أو يصلي الصبح ثم ينام إلى العصر فيضيع الظهر.. هكذا يكون النوم حجابًا بين العبد وبين الله .. قد يكون الزواج وتعلق القلب به حجاب بين العبد وبين الله .. وهكذا الاهتمام بالمباحات.. والمبالغة في ذلك.. وشغل القلب الدائم بها.. قد يكون حجابًا غليظًا يقطعه عن الله.

نسأل اللَّه عز وجل ألا يجعل بيننا وبينه حجابًا..

٨ ـ الحجاب الثامن : حجاب أهل الغفلة عن اللَّه.

والغفلة تستحكم في القلب حين يفارق محبوبه جل وعلا.. فيتبع المرء هواه.. ويوالي الشيطان.. وينسى الله.. قال تعالى : ﴿ **وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** ﴾ [الكهف: ٢٨]... ولا ينكشف حجــاب الغفلة عنه إلا بالانزعاج الناشئ عن انبعاث ثلاثة أنــوار في القلب.

(١) نور ملاحظة نعمة الله تعالى في السر والعلن.. حتى يغمر القلب محبته جل جلاله.. فإن القلوب فطرت على حب من أحسن إليها .

(٢) نور مطالعة جناية النفس.. حتى يوقن بحقارتها.. وتسببها في هلاكه.. فيعرف نفسه بالازدراء والنقص.. ويعرف ربه بصفات الجمال والكمال.. فيذل للَّه.. ويحمل على نفسه في عبادة الله.. لشكره وطلب رضاه.

(٣) نور الانتباه لمعرفة الزيادة والنقصان من الأيام.. فيدرك أن عمره رأس ماله. فيشمر عن ساعد الجد حتى يتدارك ما فاته في بقية عمره.

فيظل ملاحظًا لذلك كله.. فينزعج القلب.. ويورثه ذلك يقظة تصيح بقلبه الراقد الوسنان.. فيهب لطاعة الله . سبحانه وتعالى.. فينكشف هذا الحجاب.. ويدخل نور اللَّه قلب العبد.. فيستضيء.

٩ـ الحجاب التاسع : حجاب العادات والتقاليد والأعراف :

إن هناك أناسًا عبيد للعادة.. تقول له : لم تدخن؟!!.. يقول : لك عادة سيئة.. أنا لا أستمتع بالسيجارة.. ولا ضرورة عنـدي إليهـا.. إنما عنـدما أغضب فإني أشعل السيجارة.. وبعد قليل أجد أني قد استرحت.

ولما صـار عبد السيجارة.. فصارت حجابًا بينه وبين الله.. ولذلك أول سبيل للوصول إلى الله خلع العادات.. ألا تصير لك عادة.. فالإنسان عبد عادته فلكي تصل إلى الله.. فلابد أن تصير حرًا من العبودية لغير اللَّه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

" **ولا تصح عبوديته ما دام لغير اللَّه فيه بقية** ".. فلابد أن تصير خالصًا لله حتى يقبلك..

١٠ ـ الحجاب العاشر: حجاب المجتهدين المنصرفين عن السير إلى المقصود :

هذا حجاب الملتزمين.. أن يرى المرءُ عملَه.. فيكون عملُه حجابًا بينه وبين الله .. فمن الواجب ألا يرى عمله.. وإنما يسير بين مطالعة المنَّة.. ومشاهدة عيب النفس والعمل.. يطالع منَّة الله وفضله عليه أن وفقه وأعانه.. ويبحث في عمله.. وكيف أنه لم يؤده على الوجه المطلوب.. بل شابه من الآفات ما يمنع قبوله عند الله.. فيجتهد في السير.. وإلا فتعلق

القلب بالعمل.. ورضاه عنه.. وانشغاله به عن المعبود.. حجاب.. فإن رضا العبد بطاعته.. دليل على حسن ظنه بنفسه.. وجهله بحقيقة العبودية.. وعدم علمه بما يستحقه الرب جل جلاله.. ويليق أن يعامل به.. وحاصل ذلك أن جهله بنفسه وصفاتها وآفاتها.. وعيوب عمله.. وجهله بربه وحقوقه.. وما ينبغي أن يعامل به.. يتولد منهما رضاه بطاعته.. وإحسان ظنه بها.. ويتولد من ذلك من العجب والكبر والآفات.. ما هو أكبر من الكبائر الظاهرة.. فالرضا بالطاعة من رعونات النفس وحماقتها.

ولِله دَرُّ من قال: متى رضيت نفسك وعملك للَّه فاعلم أنه غير راضٍ به.. ومن عرف أن نفسه مأوى كل عيب وشر.. وعمله عُرضةٌ لكل آفة ونقص.. كيف يرضى للَّه نفسه وعمله؟!..

وكلما عظم اللَّه في قلبك.. صغرت نفسك عندك.. وتضاءلت القيمة التي تبذلها في تحصيل رضاه.. وكلما شهدت حقيقة الربوبية.. وحقيقة العبودية.. وعرفت اللَّه.. وعرفت النفس.. تبين لك أن ما معك من البضاعة.. لا يصلح للملك الحق.. ولو جئت بعمل الثقلين خشيت عاقبته.. وإنما يقبله بكرمه وجوده وتفضله.. ويثيبك عليه بكرمه وجوده وتفضله.

فحينها تتبرأ من الحول والقوة.. وتفهم أن لا حول ولا قوة إلا باللَّه.. فينقشع هذا الحجاب.

هذه هي الحجب العشرة بين العبد وبين الله.. كل حجاب منهما أكبر وأشد كثافة من الذي قبله..

أرأيت يا عبد الله كم حجاب يفصلك اليوم عن ربك سبحانه وتعالى؟!.. قل لي بربك: كيف يمكنك الخلاص منها؟!..

فاصدق الله.. واصدق في اللجأ إليه.. لكي يزيل الحجب بينك وبينه.. فإنه لا ينسف هذه الحجب إلا الله..

يقول ابن القيم:

فهذه عشرة حجب بين القلب وبين اللَّه سبحانه وتعالى.. تحول بينه وبين السير إلى اللَّه.. وهذه الحجب تنشأ عن أربعة عناصر .. أربعة مسميات هي : النفس.. الشيطان.. الدنيا.. الهوى.

فلا يمكن كشف هذه الحجب مع بقاء أصولها وعناصرها في القلب البتة.. لابد من نزع تلك الأربعة لكي تُنْزَع الحجبُ التي بينك وبين الله..

إن هذه العناصر الأربعة تفسد القول والعمل.. تفسد القصد والطريق.. بحسب قلتها وغلبتها.. فتقطع طريق القول والعمل والقصد أن يصل العمل إلى القلب..

إن هذه العناصر الأربعة سوف تحاول أن تحول بين وصول هذه التوبة إلى القلب.. ستقطع الطريق إلى القلب.. وما وصل منها إلى القلب قطعت عليه الطريق أن يصل إلى الرب.. فبين القول والعمل وبين القلب مسافة.. يسافر فيها العبد إلى قلبه ليرى عجائب ما هنالك.. وفي هذه المسافة قطاع طرق.. النفس.. الشيطان.. الدنيا.. الهوى..

يمنعون وصول العمل إلى القلب.. فإن حاربهم وانتصر عليهم.. فخلص العمل إلى قلبك.. دار فيه فلا يستقر دون الوصول إلى الله.. ﴿**وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ**﴾ [النجم: ٤٢].. فإذا وصل العمل إلى الله أثاب الله العبد مزيدًا من الإيمان واليقين والمعرفة والتقوى.. قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾ [محمد:١٧].. فكلما اهتدى العبد زاده الله هدى.. وكلما زاد هدى زاد تقوى.. وهكذا يظل من زيادة إلى زيادة.. فإذا وصل العمل إلى الله.. أثابه عليه مزيدًا في إيمانه ويقينه ومعرفته وتقواه.. وجمَّل به ظاهره وباطنه.. فهداه به الله لأحسن الأعمال والأقوال.. وأقام الله من ذلك العمل للقلب جندًا.. يحارب به قطاع الطريق للوصول إليه.. فيحارب العبد بالله الدنيا.. بالزهد فيها.. **اللهم اقذف في قلوبنا الزهد في الدنيا**.. يزهد فيها فيخرجها الله من قلبه ولا يضره أن تكون في يده أو في بيته.. فهذه ليست المشكلة.. أن يكون لديه الملايين فتلك ليست المشكلة..

إن القضية أن لا تكون الدنيا في قلبه.. إنما الذي في قلبه هو حب الله وحده.. ولا يمنع ذلك من قوة يقينه في الآخرة.. يحارب الدنيا بالزهد فيها.. ويحارب الشيطان بالاستعانة بالله.. ودائمًا نقول: إن الشيطان لابن آدم كالذئب للغنم يأكلها.. فكذلك الشيطان يأكلك.. فإذا كنت تسير في طريق ونبحتك كلاب الراعي.. فماذا تصنع؟ تقول: أدافعه.. إن دافعته عاد بعدها يجري وراءك.. ثم تدافعه فيعود ويجري خلفك.. وهكذا.. فما الحل؟.. استعن بالراعي.. يكفك كلابه.. نادِ على الراعي.. عندها ينادي كلبه.. وتنتهي القضية.. فكذلك استعن بالله يكفك شر الشيطان..

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** ﴾ [الأعراف: ٢٠١].. وقال تعالى : ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [فصلت: ٣٦].

فتحارب الشيطان بالاستعانة بالله . .

وتحارب الهوى بتحكيم الأمر المطلق . . بحيث لا يبقى لك هوى فيما تفعل . . تحارب الهوى بمخالفة الهوى . .

وتحارب النفس بقوة الإخلاص . .

وتحارب الدنيا بالزهد فيها . .

فإذا انتصرت على هذه الأربعة بعد حربها وصل العمل إلى القلب أما إذا لم يجد العمل منفذًا إلى القلب . . كأن لا يصل العمل إلى القلب . . وبالتالي لا يصل إلى الرب . . فعند ذلك ماذا يحدث؟؟؟

إذا لم يجد العمل منفذًا . . وَثَبَتْ عليه النفس . . فأخذته وصيرَّته جندًا لها . . فصالت به وجالت . . وعَلَتْ وطَغَتْ . . فتراه أزهد ما يكون . . أعبد ما يكون . . أشد ما يكون اجتهادًا . . وهو عن الله أبعد ما يكون . . فتراه يقوم الليل ثم يصبح فيزني . . يصوم النهار . . ثم يسهر ليسكر . . يقرأ القرآن ولا يستطيع التخلص من التدخين . . يذكر الله ومع ذلك يعصي مولاه . . فلماذا؟؟ . . لماذا؟؟ . .

إنه سؤال حثيث ومشكلة ملحة كثير من شبابنا يعاني منها.. أن يطيع ويعصي.. يتساءل.. أين أثر الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ؟!!.. الذكر الذي يطرد الشيطان ؟!!

والجواب : أنَّه حين عمل العمل لم يصل العمل إلى قلبه.. فمثلاً : في حضور مجالس العلم تجد بعضهم يجلس حاضر القلب.. مخبتًا لله خاشعًا.. عينه تكاد تدمع .. يحس بالسكينة.. وأول شيءٍ يفعله بعد الخروج من المسجد أن ينظر إلى امرأة متبرجة .. **فما السبب؟؟**

الجواب : لأن ما سمعه من الكلام مر على ظاهر القلب فكان تأثيره وقتيًا .. فعندما خرج هجم عليه الهوى.. فنسي فعصى..

حينذاك ينسى كل ما كان.. فلابد أن يجد الكلام منفذًا إلى القلب..

فاللهم بلِّغْ الخير قلوبنا.. وأدِمْ على قلوبنا الخير يا رب..

نعم يجب أن يثقب الكلام قلبك .. كما قال أحد الشباب.. كلام مثل الرصاص في قلوب مثل النحاس.. إننا نريد قلوبنا تقية نقية خاشعة حاضرة.. تتأثر فتتغير.. قال تعالى : ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾ [الأنفال: ٢ - ٤]..

نريد لهذا الكلام أن يصل إلى القلب فينفذ.. فإذا نفذ إلى القلب دار فيه.. فوصل إلى الرب سبحانه وتعالى.. فرضي اللَّه عنك.. فأخذ بناصيتك وقلبك إليه.. **اللهم خذ بأيدينا ونواصينا إليك .. أخذ الكرام عليك..**

أما الآخر فتراه حفظ القرآن.. ومع حفظ القرآن لم يستطع الكف عن الاستمناء.. لأن النفس استولت على هذا الحفظ فصيرته جندًا لها .. فافتخر.. قائلاً : أنا فلان.. افتخار.. كبر.. غرور.. عجب.. رضا عن

نفس. . احتقار للآخرين. . فيصير العملُ جنديَّ النفس تترفع به .

يقول ابن القيم في كلمات خطيرة جدًّا:

فتراه أعبد ما يكون. . أزهد ما يكون. . أشد اجتهادًا ما يكون. . وهو عن الله أبعد ما يكون. . وأصحاب الكبائر الظاهرة أقرب قلوبًا إلى الله منه. . وأدنى إلى الإخلاص والخلاص منه. .

فانظر إلى السَّجَّاد الزاهد العبَّاد. . الذي بين عينيه أثر السجود. . كيف أورثه طغيان عمله. . أن أنكر على النبي ﷺ. . قال النبي ﷺ عن أحدهم : « **يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب اللّه لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية** »[1] .

ذو الخويصرة التميمي كان عبدًا زاهدًا سجَّادًا عبَّادًا. . علامة الصلاة في وجهه. . ومع ذلك قال لرسول الله ﷺ: اتق الله واعدل فهذه القسمة لم يُرَدْ بها وَجْهُ الله. . لأنه رأى نفسه. . وانظر في المقابل إلى السكِّير الذي كان كثيرًا ما يؤتى به إلى النبي ﷺ فيقيم عليه الحد على الشراب. . كيف قامت به قوة إيمانه ويقينه ومحبته لله وتواضعه وانكساره حتى نهى رسول الله ﷺ عن لعنه؟!!. . من هنا نفهم أن طغيان المعاصي أسلم من عاقبة طغيان الطاعات. .

إخوتاه.. كانت كل تلك مقدمات بين يدي سؤالنا.

---

(١) متفق عليه . أخرجه البخاري (٤٣٥١) كتاب المغازي باب بعث علي ابن أبي طالب وخالد ابن الوليد إلى اليمن.

ومسلم (١٠٦٤) كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم .

كيف نتوب ؟!

يا من أبعدته الخطايا عنهم : إذا أردت لحاقهم

فهذه وصيتي :

لا بد واللّه من قلق وحرقة :

إما في زاوية التعبد وإما في هاوية الطرد

إما أن تحرق قلبك بنار الندم على التقصير

والشوق إلى لقاء الحبيب

وإلا فنار جهنم أشد حراً

القلق القلق يا من سُلِبَ قلبه .

البكاء البكاء يا من عظم ذنبه.

كيف نتوب؟؟

فتعالوا إلى التوبة ندق بابها.. ونستفتح غالقها.

حقيقة التوبة :

هي الرجوع إلى الله ولا يصح الرجوع.. ولا يتم إلا بمعرفة الرب كما ذكرنا.. بمعرفة أسمائه وصفاته.. وآثاره في النفس.. ولا يصح الرجوع إلا بأن تعرف أنك كنت فارًّا من الله.. أسيرًا في قبضة عدوك.. أن تعرف لكي تتوب.. أنه لابد من اليقين.. بأنك ما وقعت في مخالب عدوك.. إلا بسبب جهلك بربك.. وجرأتك عليه ..

فلابد للتائب.. أن يعرف كيف جهل؟.. ومتى جهل؟..

لابد للتائب.. أن يعلم كيف وقع أسيرًا؟.. ومتى وقع؟

لابد للتائب.. أن يؤمن أن التوبة إنما هي عملية شاقة.. تحتاج إلى مجهود كبير.. ويقظة تامة.. للتخلص من العدو.. والرجوع والفرار إلى الرب.. الرحمن الرحيم.. والعودة.. من طريق الهلاك الذي أخذه إليه عدوه..

لابد أن تعرف أيها التائب.. مقدار الخطوات التي قطعتها بعيدًا عن الله.. لعودها بعددها.. لابد أن تعرف المجهود والعقبات التي لابد من الحرص على اقتحامها.. للعودة إلى الصراط المستقيم..

لابد أن تعرف أيها التائب. . أنك إنما أتيت من قبل نفسك. . وبسبب متابعتك لهواك. .

لابد أن تعرف أيها التائب. . أنك أتيت من غفلتك عن الله . . وعدم اعتصامك بحبله. .

لابد أن تعرف أيها التائب. . أنك إنما أتيت من قِبَل حسن ظنك بنفسك. . وسوء ظنك بالله. .

فمثلاً : إن من يدخن يظن أن السيجارة تهدئ أعصابه. . فيحسن الظن بالسيجارة. . ويسيء الظن بالله. . بأنه لو أمسك المصحف . . فإن أعصابه لن تهدأ . . عندها يكله الله إلى نفسه. . فتسوء خاتمته. .

لابد أن تعرف أنك أُتيت من قِبَلِ حُسْنِ ظَنِّك بنفسك وسوء ظنك بالله. .

أخي التائب : إذا تبين لك ذلك. . وعرفت أن في طاعة نفسك عطبك وهلاكك يوم ميعادك. . وأن في عصيان نفسك نجاتك في آخرتك. . وأن نفسك قد اعتادت سلوك طريق هلكتها. . وألفت طول النفور والاشمئزاز مما يرضي عنك سيدك. .

فاتحة التوبة

فلابد أن تعلم.. أن أول الطريق: أن تقف مع نفسك وقفة.. بل وقفات.. فتعزم على تأديب نفسك بسبعة أمور:

أولاً: الوعظ والتذكير:

ألزم قلبك[1] العزم على تأديب نفسك.. والمواظبة على توقيفها.. والإلحاح على معاتبتها.. والدوام على موعظتها وتذكيرها.. كرر على نفسك الخطر الذي هي عليه.. وأنها لابد من المصير إلى مولاها.. وأنها ستموت حتمًا .. وقد يكون الآن.. قل لها: يا نفس توبي قبل أن تموتي.. نادِ نفسك.. قل لها:

يا نفسُ توبي.. يا نفس توبي.. يا نفس توبي.. قبل أن تموتي.. فإن الموت يأتي فجأة.. ذَكِّرْها بالأصحاب.. مات فلان وفلان.. ذكرها لقد مات رسول الله ﷺ.. فهل لك بعد ذلك من نجاة؟!.. يا نفس سَتَرَيْنَ كلَّ أعمالك يوم القيامة حاضرة.. ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ**﴾ [آل عمران: ٣٠].. ﴿**يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا**﴾ [النبأ: ٤٠].. ﴿**وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا**﴾ [الكهف: ٤٩]..

---

(١) ينبغي ملاحظة أهمية الأعمال القلبية لأنها الأصل في إصلاح أعمال الجوارح، فالتأنيب والمعاتبة لاقيمة لها باللسان ما لم يلزم القلب تدبرها واعتقادها (فليتنبه).

يا نفس صبر ساعة.. ولا عذاب الأبد.. **يا نفس هُبِّي** إلى الجد.. إن قالت لك نفسك : في آخر العمر أتوب.. وكثير من الشباب يقول هذا.. دعنا نستمتع بالشباب حتى إذا بلغنا مبلغ المشيب تبنا كما تبتم.. وما يدريك أنك ستعيش؟.. هب أن الجد في آخر العمر نافع.. وأنه موصل إلى الدرجات العلا.. أليس قد يكون اليوم آخر عمرك؟!.. فلم لا تشتغلين أيتها النفس بالإصلاح؟!.. مَنْ أوحى إليك بالإهمال؟!.. ما المانع من المبادرة يا نفس؟!.. ما الباعث على التسويف؟!.. هل له سبب إلا عجزك عن مخالفة شهواتك؟!.. لما فيها من التعب والمشقة..

يجب أن يتكلم المرء مع نفسه هكذا.. فيقول لها :

هل **يا نفس** تنتظرين يومًا يأتيك تستطيعين فيه مخالفة الشهوات؟!.. هل هذا معقول؟!.. أن يأتي يوم فيجد المرء نفسه وقد عافت الشهوات.. يجد نفسه قادرًا على مخالفة الشهوات؟! .. إن هذا يوم لم يخلقه الله قط.. لا تكون الجنة قط إلا محفوفة بالمكاره.. ولا تكون النار إلا محفوفة بالشهوات.. لا يمكن أن تكون المكاره قط خفيفة على النفوس. هذه الحال نتأملها بأعيننا..

قل لنفسك : **يا نفس** أما تتأملين منذ كم تَعِدِين؟!.. منذ كم تقولين غدًا غدًا؟!.. فقد جاء الغد وصار يومًا.. فكيف وجدته؟!.. كثير من الناس يدخن.. فإذا قلت له : تُبْ .. قال : إن شاء الله.. في رمضان أصوم عن السجاير طوال النهار.. فيصبح الأمر سهلاً .. وجاء رمضان ثم

مضى.. ولم يكُفَّ..

تجد الشاب ينظر إلى الفتيات في الجامعة.. فإذا قلت له : تُبْ .. قال : إن شاء الله في الإجازة.. فتأتي الإجازة وتمر.. وهو لا يستطيع كف بصره عن النظر..

نعم نجد الكثير من الناس منشغلاً بجمع الحطام الفاني من الدنيا.. فإذا قلت له : تب.. قال: عندما أعمل لمستقبلي قليلاً.. فإذا قلت له : اعمل لمستقبلك.. قال : ومستقبل أولادي.. وبعدها يقول: انتظر قليلاً.. ثم قليلاً.. ثم قليلاً.. حتى يدخل القبر ولم يتب.. والطغيان يورث طغيانًا.. ومتابعة النفس تورث غضب الرحمن..

قل لها : **يا نفس** أما علمت.. أن الغد الذي جاء وصار يومًا كان له حكم الأمس.. ألا إني أخاف أيتها النفس أن ما عجزت عنه اليوم.. تكونين غدًا أشد عجزًا عنه..

مثاله : لو أن رجلاً أُمِرَ باقتلاع شجرة كبيرة من أصولها.. وهو شاب وجدها كبيرة.. قال : لندعها للغد.. ثم قال : فلندعها للعام القادم.. فبمرور الوقت تضعف قوته.. أما الشجرة فتزداد رسوخًا وتشعبًا في الأرض.. كذلك الشهوات.. فما لا تقدر عليه في الشباب لا تقدر عليه قط في المشيب.. فمن العناء رياضة الهَرِم.. ومن التعذيب تهذيب الذيب.. والقضيب الرطب يقبل الانحناء.. فإذا جَفَّ وطال عليه الزمان صَعُبَ فِعْلُ ذلك.

هذا هو السبيل الأول للتوبة.. وقفة مع النفس.. وقفة حقيقية مع الوعظ والتذكير.. وحضور مجالس العلم..

ثانيًا : عزل النفس عن مواطن المعصية :

قال ﷺ : « **المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل** »[1] .

وقال ﷺ : « **وأما جليس السوء كنافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة** »[2] .

وقال على بن أبي طالب : " لا تصحب الفاجر فإنه يزين لك فعله ويود لو أنك مثله " .

وقال بعض السلف : " إياك ومجالسة الأشرار فإن طبعك يسرق منهم وأنت لا تدري .

وليس إعداء الجليس جليسه بمقاله وفعاله فقط بل بالنظر إليه . فالنظر إلى الصور يورث في النفوس أخلاقًا مناسبة لخلق المنظور إليه " .

أول ما يبدأ من التوبة.. **أخي التائب:** أن تغير رفاقك.. ثم تغير المكان الذي كنت تعصي الله فيه .. إن الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا.. قال له العالم: إن قومك قوم سوء.. وإن في أرض كذا وكذا قومًا يعبدون الله..

---

(١) « صحيح الجامع » (٣٥٣٩) .

(٢) « صحيح البخاري » .

فاذهب فاعبد الله معهم. . **فاللهم اجمعنا مع الصالحين من عبادك في الدنيا والآخرة**. . نعم إنك ينبغي أن تنتبه لذلك. . لأن قضية تغيير الرفقاء مهمة جدًا . . فأصحاب السوء لا يتركونك. . وخصوصًا أن من ورائهم الشيطان. . ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا** ﴾ [مريم: ٨٣]. . فالشياطين تؤز العصاة إلى المعاصي أزًا . . تدفعهم دفعًا. . تسوقهم سوقًا. . تقودهم قودًا. . تيسر لهم. .

أيها الأحبة في الله : نعوذ بالله من الشيطان الرجيم. . نعم إن الشيطان لن يدعك تتوب. . سيجاهدك. . وسيقف لك بالمرصاد. . وسيستعمل كل أسلحته. . من معارفك وأصدقائك. . إنك تذكر وأذكر معك. . يوم كنت تجلس على المقاهي. . وتصاحب رفقاء السوء. . كنت تُدْخِل إلى المنزل هؤلاء الرفقاء. . فترحب بهم أمك ويجلس أبوك معكم. . وينشرح صدره لهذه الجلسة. . ثم يوم التزمت وتبت إلى الله. . فإن أباك قال لك : إنك ستوردنا موارد الهلكة. . نحن لا نستطيع معارضة الحكّام. . لا تُعْفِ لحيتك. . وإذا استضفت اثنين من الملتزمين. . سألك : هل نويت أن تحول المنزل إلى وكر أو ماذا تريد؟؟. . وهكذا .

هكذا سيحاربك الجميع. . الكل سيجاهدك حتى نفسك. . ستبدأ تورد عليك النفس صور المعاصي القديمة. . تجد نفسك راقدًا مرة تراجع حفظك من سورة البقرة أو تستمع إليها. . فتفاجئك نفسك بصورة الفتاة التي كنت تحبها. . فتستعيذ بالله من الشيطان الرجيم. . وتتساءل من الذي أتى بها

هنا؟ . . وفي هذا الوقت بالذات؟

نعم اعلم أنهم لا يدعونك . . ولذلك كل ما يذكرك بالمعصية اتركه واهجره . . واهجر أصدقاءك القدامي . . غَيِّر رقم الهاتف . . غَيِّر عنوان المنزل إذا استطعت . . غير الطريق الذي تمر منه إلى المنزل . . وإذا قابلت أحدهم فسلم عليك . . فإذا قال : ماذا جرى لك؟! . . فقل : عرفت الله . . وادع الله أن يتوب عليه كما تاب عليك . . وانصرف عنه سريعًا . . فإذا قلت: إنني قد أنفره من سلوك الطريق القويم . . قلت لك : المهم أن تنجو بنفسك أولاً . . ثم عندما تثبت أقدامك ستعود حتمًا . . تعود لتمد له يد العون بقوة . . أما إذا مددت له تلك اليد الآن . . ولما تثبت أقدامك . . فهششت له . . وبادلته الحديث . . فسوف يذكرك بأيام معاصيك . . فيدخل الوهن في قلبك . . سيقول : إنك قد جننت فأنا أعرفك أكثر من نفسك . . إنك لست من هذا الطراز . . هل أنت من مرتادي المساجد؟! . . أتذكر اسم الفتاة التي كنت تحبها . . وما كنت تقول؟! . . وماذا كنت تفعل؟! . . فهل يترك هذا عاقل ليكون مع هؤلاء المُعَقَّدِين؟! . . ألا يحدث هذا بالفعل؟! . . لذا فإذا حدث وقابلت أحدهم فلا تتبسط معه . . ولا تنس الإنكار . . فإذا قال لك : إنني أريدك أن تأتي معي في أمر . . فقل له : إنني سوف أحضر درس علم . . فإذا قال: إذًا غدًا . . فقل له : غدًا سأقوم الليل من بعد العشاء وحتى الفجر . . فإذا قال: إذًا بعد غد . . فقل له : إنني أنوي أن أختم القرآن بعد غدٍ . . فعندها سيقول :

جُنَّ والله.. فييأس منك فيتركك.. أو سيقول : اهتدى والله فيصحبك ويتبعك..

كما قلت لك من قبل : إياك وتلبيس إبليس.. يقول لك : أنت خُلِقْتَ للدعوة.. فقل له : أي دعوة !!.. فأنا ما زلت في بداية توبتي.. إنه ليس لك أن تدعو آنئذ فاسكت.. اترك أرض المعاصي.. لأنك لن تستطيع اعتزال الناس في الجامعة أو المنزل أو في العمل.. سوف تضطر للتعامل مع هؤلاء.. وعليه فإنه يجب عليك أن تعزل نفسك في البداية عن مواطن المعصية لفترة حتى تعتاد الالتزام.

إن نصيحتي لك ـ حبيبي في الله ـ أن تلزم نفسك الصمت.. حُلْ بينها وبين من يشغلها.. إياك والمعارك الجانبية.. فإذا نظر إليك أبوك شذرًا عندما أعفيت لحيتك.. ثم سألك ما الذي تنوي عمله؟ فلا تقل له : إن اللحية فرض؟. أو تتهمه بأنه يكره النبي ﷺ.. ولكن قم فَقَبِّل رأسه.. وقبل يد أمك.. وقل لهما : الحمد لله الذي نجاني من طريق النار.. لعلي أنفعكم يومًا.. ذَكِّرْهم بحديث « **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلاّ من ثلاث إلاّ من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوا له**»[1] .. لا تُقِم معارك في المنزل مع إخوتك وأبيك وأمك وجيرانك وزملائك.. فتلهيك المعارك عن اللجوء إلى الله والسير إليه.. لا تفتح أبواب المعارك.. سد باب الذرائع عن

---

(١) « صحيح مسلم » (١٦٣١) كتاب الوصية . باب ما يلحق الإنسان من الثواب لعبر وفاته .

أي سؤال.. فإذا قيل: يا بني هل اللحية فرض؟.. فقل.. كيف حالك يا أبي؟[١].. إنني أحبك.. وحاول أن تتفادى الصراع ما أمكنك.. فإذا قال لك: هل الصلاة لا تصح إلا في المساجد الخاصة بالملتزمين الذين يطيلون فيها؟.. قل له: ما رأيك يا أبي لو جلست معي فقرأنا ربعين من القرآن؟!.. فإنك عندها ستشعر بجنة الله في القرآن.. إن النبي ﷺ قد قال.. وقال.. وقُصَّ له من أخبار النبي عليه الصلاة والسلام.. أما إذا أقمت من نفسك مُفْتيًا.. وسردت له أدلة فرضية اللحية.. وأن ابن حجر العسقلاني قد قال.. وقول الشيخ ناصر الدين الألباني كذا وكذا.. وابن تيمية قال كذا وكذا.. فإنك لن تجد الوقت لتصحيح توبتك مع الله. وإنما عليك بالنصيحة العابرة والهمسة الصادقة.

أَطِلِ الصمت.. وأَدْمِنِ السكوت.. ولا تَخُضْ مع الخائضين.. جَنِّبْ نفسك الزلل.. وابتعد عن الخطأ.. وانكسر لله.. لا تَطْغَ.. لا تتكبر.. إذا رأيت العصاة فاذكر قول الله: ﴿كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:٩٤].. قل: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرًا من عباده.. وفَضَّلَني على كثير ممن خلق تفضيلاً.

---

(١) نقصد أن تمر الفترة الأولى من الالتزام بدون مشاكل بقدر الإمكان، ولكن حتمًا ستكون المواجهة بالأدلة على فرضية اللحية، ووجوب صلاة الجماعة، فالمقصود: عدم استدراج الشاب إلى عداوة المنزل والأهل، فإنهم سيكونون عائقًا شديدًا أمام الالتزام فالصبر الصبر.

ثالثًا: إدمان معاتبة النفس وتخويفها :

النفس تركن إلى اللذيذ والهين.. فعلِّمْها التحليق.. تكره الإسفاف.. علِّمْها العز.. تأنف من الذل.. عرِّفْها الرب.. تستوحش من الخلق.. نفسك هي دابتك التي تحملك إلى الله.. عرفها الطريق.. تنقاد.. ابدأ في معاتبتها وتقريرها بما صنعت من المعاصي.. لتنكسر لله..

قل لها : **يا نفس** إن متنا الآن فبمَ نلقى الله؟! .. أَلِحَّ عليها حتى تلين.. اجعلها تعترف بكثرة جرائمها وكثرة ذنوبها.. أدِمْ ذلك عليها.. اجعله عملها.. أوجع بذلك ضميرها.. أَسِلْ بذلك دمعتها.. استغفر الله من سوء ما تقدم من صنيعك.. وبِّخ نفسك..

قل لها : **يا نفس ويحك يا نفس**.. لا ينبغي أن تغرك الحياة الدنيا.. ولا يَغُرَّنَّكِ بالله الغرور .. **يا نفس** انظري إلى نفسك.. فما أَمْرُكِ بمهم لغيرك.. **يا نفس** لا تضيعي أوقاتك.. فالأنفاس معدودة.. فإذا مضى منك نَفَسٌ فقد ذهب بعضك.. اغتنمي الصحة قبل السقم.. والفراغ قبل الشغل.. والغنى قبل الفقر.. والشباب قبل الهِرَم.. والحياة قبل الموت..

يا نفس استعدي للآخرة بقدر بقائك فيها.. **ويحك يا نفس**.. إن كنت يا نفس لا تتركين الدنيا رغبة في الآخرة.. لجهلك وعمى بصيرتك.. فاتركيها ترفعًا عن خسة شركائها.. تنزهًا عن كثرة غثائها.. توقيًا من سرعة فنائها.. **مالك يا نفس** لا تزهدين في قليلها بعد أن زهد فيك كثيرها؟!.. **مالك يا نفس** تفرحين بدنيا إن ساعدتك.. فإنها ستكون حجة عليك؟!.. **مالك يا نفس** تفرحين بدنيا إن كانت لك.. فلا تخلو البلد من جماعة اليهود

والمجوس.. يسبقونك بها.. ويزيدون عليك من نعيمها وزينتها.. فأُفٍّ لدنيا يسبقك إليها هؤلاء الأخِسَّاء..

ما أَجْهَلَكِ يا نفس.. وأَخَسَّ همتك يا نفس.. وأَسْقَطَ رَأيكِ يا نفس.. إذا رغبت عن أن تكوني في زُمْرَة المُقَرَّبِينَ.. من النبيين والصديقين.. في جوار رب العالمين.. أبد الآبدين.. رغبتِ عن أن تكوني في جنة النعيم.. لتكوني في صف النِّعَالِ.. من جملة الحمقى الجاهلين.. أيامًا قلائل تفرحين.. ثم إلى الأبد تعذبين.. فيا حسرةً عليك إن خسرت الدنيا والدين.. **ويحك يا نفس** بادري بالتوبة.. فقد أشرفتِ على الهلاك.. اقترب الموت.. وورد النذير.. فمن ذا يصلي عنك بعد الموت؟!.. من ذا الذي يصوم عنك بعد الموت؟!.. من يترضى عنك ربك بعد الموت؟!.. **ويحك يا نفس** ما لك إلا أيام معدودة.. هي بضاعتك.. إن اتَّجَرْتِ فيها فُزْتِ..

ويحك يا نفس قد ضَيَّعْتِ أكثر رأس المال.. فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت فيها.. لكنت مقصرة في حق نفسك.. **فكيف يا نفس** إذا ضيعت البقية.. وأصررت على المعاصي؟!..

أما تعلمين أن الموت موعدك؟!.. والقبر بيتك؟!.. والتراب فراشك؟!.. والدود أنيسك؟!.. والفزع الأكبر بين يديك؟!!

أما علمت **يا نفس** أن عسكر الموت عندك على باب البلد ينتظرون.. وقد آلوا على أنفسهم بالأيمان المغلظة أنهم لا يبرحون؟!.. **يا نفس** أما علمت أن الموتى يتمنون الرجعة.. ليشتغلوا بالعمل الصالح.. ويستدركوا

ما فرط منهم؟!.. أنت في أمنيتهم..فاعملي..

يا نفس إن يومًا من عمرك لو بيع منهم بالدنيا وما فيها لاشتروه.. لو قدروا عليه.. وأنت أيامك في الغفلة والبطالة.. **ويحك يا نفس**.. أما تخافين.. أما تخافين.. ﴿**كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّىٰ (٣١) وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ (٣٣) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ**﴾ [القيامة: ٢٦ - ٣٥].

ويحك يا نفس.. أما تخافين أن تبدو رسل ربك منحدرة إليك بسواد الألوان.. وكَلَحِ الوجوه.. وبشرى العذاب؟!.. أما تخافين؟!.. أما تذكرين؟!.. هل تذكرين؟!.. هل ينفعك ساعتها الندم؟!.. أو يقبل منك الحزن؟!.. أو يرحم منك البكاء؟!.. ويحك يا نفس.. ويحك يا نفس.. تُعْرِضين عن الآخرة وهي مقبلة عليك.. وتُقْبِلين على الدنيا وهي معرضة عنك.. **يا نفس** كم مستقبلٍ يومًا لم يستكمله.. وكم من مؤمل غدًا لم يبلغه.. أنت تشاهدين ذلك في الموتى..

احذري يا نفس.. احذري يومًا ترجعين فيه إلى الله فتوفَّى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.. **احذري يا نفس** ذلك اليوم.. فقد آلى الله على نفسه ألا يترك عبدًا أمره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله.. **فانظري يا نفس**.. بأي أمرٍ تَقْدُمين؟!.. وبأي لسان تُجِيبين؟!.. أعِدِّي للسؤال جوابًا..

انظري يا نفس إلى الدنيا اعتبارًا. . وسعيك لها اضطرارًا. . ورفضك لها اختيارًا. . وطلبك للآخرة ابتدارًا. .

يا نفس اتركي الدنيا مختارة. . قبل أن تتركيها مضطرة. .

يا نفس كيف أقول لربي غدًا إذا سألني عن عملي؟!. . ووضح لي طريقي؟!. . إذا نلت كتابي بشمالي؟!. . ونادى ربي يوم القيامة. . وقد غضب غضبًا لم يغضب مثله قبلُ قط. . ولن يغضب بعده مثله. . فقال : خذوه؟!. .

ويحك يا نفس. . أتستطيعين أن تَفِرِّي من زبانية جهنم؟!. . أتستطيعين أن تهربي من سلاسل النار؟!. . أتستطيعين أن تحاربي الملك الجبار؟!!

ويحك يا نفس. .كم تطيقين في نار الله الموقدة. . التي تطلع على الأفئدة؟!!. . وهكذا يظل يوبخ نفسه. . ويعاتبها. . ويذكرها حتى تخاف من الله فتَئُوب وتتوب.

رابعًا : علاج النفس بالصوم ومنع الحظوظ :

إن البطن إذا أكلت أَشَرَتْ وبَطَرَتْ. . وإذا صامت انكسرت. . وقَلَّ نشاطها. . وعادت إلى ربها. . فأدمن الصيام كما أوصاك النبي عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم السلام. . قال : « **فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[1] . . « **وِجَاء** » بمعنى قاطع للشهوة. . فامنعها ملذاتها. . كما يقول

(١) متفق عليه . أخرجه البخاري (١٩٠٥) كتاب . الصوم باب الصوم لمن خاف على نفسه العزبة، مسلم (١٤٠٠) كتاب النكاح : باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه .

ابن الجوزي : امنعها ملذوذ مباحها ليقع الصلح على ترك الحرام.

أخي التائب : ابدأ بتحقيق التوبة النصوح.. ابدأ بأن تتوب إلى **الله** توبة نصوحًا .. وقد قال ابن القيم : في التحقيق أن التوبة تستلزم ترك المناهي.. والإقبال على العمل بالأوامر..فمن ترك المناهي.. ولم يعمل بالأوامر.. لم تقبل توبته.. وليس بتائب.. قال تعالى: ﴿**إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**﴾ [الفرقان: ٧٠].

فشرط قبول التوبة : العمل بالطاعة.. فتب.. ارفع يديك.. نادِ ربك.. وقل له : يا رب تبت من كذا وكذا من المعاصي.. وهذا ليس شرطًا في التوبة.. فقد تكون التوبة مجملة.. بأن تتوب إلى **الله** من جميع الذنوب والمعاصي جملة دون تفصيل.. فَتُقْبَل إن شاء **الله**.. ولكن هذا التعديد لزجر النفس وتذكيرها.. وإلهامها التوبة وتثبيتها على هذه المعاني.. تبت من كذا وكذا.. وعزمت ألا أعود أبدًا لكذا وكذا.. وعاهدتك يا رب أن افعل كذا وكذا.. لابد من هذا الوضوح.. وإياك أن تُسَوِّفَ.. الآن الآن قل تبت.. ثم ابدأ بإمساك المصحف.. وقف في الصلاة.. أمسك بالمصحف وقل : **الله** أكبر.. اقرأ دعاء الاستفتاح.. اقرأ الفاتحة تَبَاك بين يدي **الله** سبحانه وتعالى.

رحم **الله** أحد مشايخنا كان يقف في الصلاة ويقول : ألا تعرف كيف تصلي!!.. كيف تذل **لله** سبحانه وتعالى؟!.. وتتباكى بين يديه؟!.. ابدأ بدعاء الاستفتاح وتباكَ.. فلا تبدأ في قراءة الفاتحة حتى تسيل دموعك على

خديك.. وتسترسل في القراءة حتى يغلبك البكاء.. فلا تملك إلا الركوع بين يدي الملك.. ثم تسجد له وحده.. ودموعك تغسل جبال الذنوب التي تطبق على صدرك.. وتكاد تزهق أنفاسك.. وتخرج من الصلاة وأنت لا تريد أن تنتهي من مناجاة ربك.. فتشعر عندها أنك قد وجدت أنفاسك.. وجدت لقلبك الحائر مستقرًا.. ووجدت لنفسك القلقة سكنًا.. ووجدت لروحك المعذبة أمانًا .

فإذا طالبتك بالطعام فأذِلَّها.. وإذا أرادت النوم فاحرمها.. امنعها فضول المباح ليقع الصلح على ترك الحرام.

خامسًا : أن تأخذ من نفسك الراحة وتنزل بها التعب ونقصان المباح

إن نفسك تعمل.. فإن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.. أتعبها في قيام الليل.. نم ساعتين فقط.. بعدها توجه للعمل.. لن تجد القوة لتعصي الله.

حتى إذا كنت طالبًا.. فقم بواجب الاستذكار.. ثم استعن بالله وقم الليل.. ثم نم ساعتين.. واستعن بالله تمضي للامتحان نشيطًا.. ولا تخطئ الخطأ الذي يقع فيه الكثيرون.. بأن تتعلق قلوبهم بما حصَّلوا من المواد العلمية فقط.. وينسون أن التوفيق من الله وحده.. إن الذي يُعَلِّم ويُذَكِّر هو الله سبحانه وتعالى بعد أن تأخذ بالأسباب.. وتبذل الجهد في المذاكرة التحصيل.. فليتعلق قلبك بالله هو الفتاح العليم.. فهو الذي قد يفتح عليك عند الإجابة.. أو يُذِلك.. هذا مع ضرورة الأخذ

بالأسباب والتوكل على الله .

إنك إذا أتعبت جوارحك في طاعة الله عز وجل.. أتعب الله الكائنات في خدمتك.. إن مشكلة قومنا أنهم لم يجربوا التعب لله.. لقد جربوا فقط التعب في الدنيا.. ولم يُحَصِّلوا شيئًا.. ورغم ذلك لم يكفوا عن مواصلة التعب في الدنيا.. تعبوا كثيرًا للزوجات.. والأبناء.. وللنفس.. وللهوى.. ولكل ما عدا الله سبحانه وتعالى.. فلنجرب الآن نوعًا جديدًا من التعب.. التعب لله عز وجل.. قال بعضهم حين سئل : ماذا تشتهي؟.. قال : إني لأشتهي أن أقوم في الصلاة حتى يشتكي صلبي..

قيل لبعضهم : ماذا تشتهي؟!.. قال : أشتهي أن أقوم حتى لا أقدر أن أقوم.. أود أن أقف في الصلاة حتى لا أستطيع القيام.. أريد أن أسجد حتى تنقطع أنفاسي.. أريد أن أركع لله حتى تشكو عضلاتي.. أريد أن أصوم لله حتى أشرف على الهلاك من الجوع.

إن التعب غير مقصود لذاته.. وإنما المقصود إذلال النفس لله.. إنكسارها له.. أما إذا أعطيت نفسك مطلوبها بدون عناء.. فستقودك إلى الكفر بنعم الله.. ستقودك إلى جهنم.. والناس يتحدثون أن نفسه قالت له : ابدأ بسيجارة.. ثم قطعة من الحشيش .. ثم كأس من الخمر.. ثم أودت به إلى الوقوع في الفواحش.. زنا ولواط.. إلخ. حتى يعبد الشيطان.. ويقع في الكفر.

إن الحلَّ هنا أن تقف مع أول خاطر.. فإذا قالت لك نفسك : النوم..

فقل لها : سنقوم الليل. . وإذا طالبتك بالطعام. . فقل : سنقرأ القرآن. . فإذا أرادت الخروج إلى لقاء الأصدقاء. . فقل لها: أين الاعتكاف؟. . خَالِفْ نفسك حتى تفوز برضا الله . .

إن كل ما سبق بدايات. . ولكن إذا أَلِفَتْ نفسك الطاعة. . أَنِفَتْ من المعصية. .وإذا أدمنت حب الله والانقياد لأوامره. . تركت الذنوب. . وسهُل الأمر. . ومن يتصبر يصبره الله . . والله المستعان.

سادسًا : ارفع لها بالفكر أعلام الآخرة :

أَرِها الجنة والنار. . اجعلها تشاهد مَنْ أمامك في الطريق. . النبي محمد ﷺ وصحبه. . ارفع لنفسك أعلام الآخرة حتى تستقيمَ. . فنفسك التي تشتهي ـ الآن ـ شيئًا ما ذكرها بعظمة الجنة. . ففي الجنة ما لا عين رأت. . ولا أذن سمعت. . ولا خطر على قلب بشر. . إذا اشتهت نفسك الملابس. . ذَكِّرها بقول الله سبحانه : ﴿ **وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرا (١٥) قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا** ﴾ [الإنسان: ١٤ - ٢٢].

انظر. . اعرض على نفسك هذه الآيات وأمثالها. . قل لها : ﴿ **أَفَمَن**

كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ١٨ - ٢٠]. .

ذَكِّرْها بالنار. . علِّمْها. . وَجِّهْها. . ارفع لها راية الآخرة. . قل لها : يا نفس هذا طريق الصلاة. . طريق المسجد. . طريق الصيام. . طريق القيام. . طريق الذكر. . طريق تلاوة القرآن. . هذا هو الطريق أمامك. . فيه محمد ﷺ . . سبقك في هذا الطريق أبو بكر وعمر وعثمان وعلي. . وطلحة والزبير وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن ابن عوف وعبد الله بن عباس ومعاذ بن جبل. . أمامك فيه أبو ذر وأنس وياسر وعمار. . أمامك في الطريق العلماء والكبراء والعظماء من عباد الله الصالحين القانتين المتقين. .

أما الطريق الآخر. . طريق الشهوات. . الزنا والخمر والنساء واللعب. . أمامك أيتها النفس هذا وذاك. . أنت مع من أمامك يا نفس؟!. .أتريدين طريق أبي بكر وعمر. . أم طريق أبي جهل وأبي لهب؟!. . تريدين طريق البررة. . أم طريق الفجرة؟!!. . فاختاري لنفسك أيتها النفس. . واعلمي أن أكثرنا يمضي إلى المعاصي لجهله بالجنة. . ولأنه لا يرى طريقها. .

سابعًا : تحطيم الأصنام :

الأهواء أصنام تعبد من دون الله لذلك قال تعالى : ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان: ٤٣] . . فالربا صنم . . والزنا صنم . . والتبرج صنم . . وأكل أموال الناس بالباطل صنم . . وكل ما تهواه النفس مما يغضب الله صنم . . فالأغاني وحبها صنم . . والتليفزيون وتعلق القلب بما فيه صنم . . وحب المظاهر والزينة الحرام والافتخار والاستعلاء على الناس صنم . . ولا تصفو التوبة حتى تتحطم هذه الأصنام . . ولا تقوم لها قائمة . . فتوبة مع تواجد هذه الأصنام في أغوار النفس توبة مغشوشة . . لأن النفس أمارة بالسوء . . فإذا ما وجدت صنمًا من هذه الأصنام قائمًا بعد لم يحطمه صاحبه فإنها تغريه وتزينه له وتشوقه لعبادته القديمة . . وكلما أبى وتمنع عاودت معه الكرَّة تلوَ الكرَّة حتى يعود من حيث جاء وتنهار توبته التي لم يحطم فيها جميع الأصنام.

فلابد لمن أراد توبة نصوحًا أن يحطم في نفسه كل ما يربطه بالماضي الأثيم لهذا سمعنا عن عودة بعض التائبين إلى الضلال بسبب تركهم لبعض ما يربطهم بالمعصية دون تحطيم :

فهذا يحتفظ بعود كان يعزف عليه . . وآخر بشريط تسجيل كان له معه ذكرى . . وثالث يحتفظ بوردة من حبيب . . ورابع بكارت أو خطاب من وديد . . وغير ذلك من آلات طرب . . أو صور عارية . . أو أموال حرام . . وصداقات نساء . . وزجاجات خمر . . ومخدرات . . ومفترات وغيرها من

أمور المعصية.

بينما ثبت البعض الآخر من التائبين ممن حطموا في بداية توبتهم كل ما يربطهم بما يغضب الله .

فمطرب يحطم آلات الطرب .. ورسام يمزق اللوحات.. ومراهق يحرق المجلات والصور الداعرة.. ومدمن يكسر زجاجات الخمر ويرمي بالمخدرات في بالوعة المجاري.. ومراب يسحب أموال الربا ليتخلص منها في المشاريع الخيرية التي تنفع المساكين.. ومتبرجة تحرق ثيابها كلها.

إنها فعلاً صور تتكرر لأتباع إبراهيم عليه السلام حينما حطم الأصنام لأتباع محمد ﷺ حينما حطم الأصنام لغرس التوحيد في أرض الإسلام الجديدة .

أخي في اللّه : مناجاتك منجاتك صَلاتك صِلاتُك.. أخلص لله في صلاتك ومناجاتك.. ناده والناس نيام.. يا أكرم من أَمَّلَه الآملون.. إن طردتني فإلى من أذهب؟!.. وإن أبعدتني فإليك أنسب.. علمت ذنبي وخلقتني.. رأيت زللي ورزقتني.. فاشملني بعفوك ورحمتك.. أنت أرحم الراحمين وأنت الذي تقبل التوبة عن عبادك.. وتعفو عن السيئات.. وتعلم ما يفعلون.. نعم أنت غافر الذنب.. قابل التوب.. شديد العقاب.. ذو الطول.. لا إله إلا أنت.. عليك توكلنا.. وإليك متاب..

أبشر **أيها التائب**. . إن كل من تاب توبة صحيحةً فإنها مقبولةٌ. . إن نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة. . لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون. . كما أن الثوب الوسخ لا يقبله المَلِك أن يكون لباسه. . فالقلب المظلم لا يقبله الله لأن يكون بجواره. . وكما أن استعمال الثوب في الأعمال الخسيسة يوسخ الثوب. . وغسله بالصابون والماء ينظفه. . فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب. . وغسله بماء الدموع وحرقه بالندم ينظفه ويطهره ويزكيه. . وكل قلب زكيٍّ طاهر فهو مقبول. . كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول. . فعليك بالتزكية والتطهير. . تب إلى الله. . ونَقِّ قلبك. . والله يقبلك.

بشراك يا عبد الله. . أبشرك **أخي التائب** بقبـول التوبة. . بشرط أن تتوب إلى الله بصدقٍ وإخلاص. . اللهم تقبل توبتنا. . واغسل حوبتنا. . وامح خطيئتنا. . وارفع درجتنا. . وسدد ألسنتنـا. . واسلل سخيمة صدورنا. .

أخي التائب: أَقْلِعْ عن المعصية. . تب والله يتوب عليك. . اندم على ما فات باستقباح الذنب. . اعزم على أن لا تعود. . والله المستعان. . نسأل الله أن يتوب علينا وعلى عصاة المسلمين.

أخي التائب : إن الباب مفتـوح. . والفرصـة ما زالت سانحة. . وأمامك عطاء مقبول. . قل: تبت. . والله يقبل توبتك. . فاستعن بالله ولا تعجز. . فإن النصر مع الصبر. . والفرج مع الكرب. . وإن بعد العسر

يسرًا . . وإياك من وسوسة الشيطان . . أن يقول لك : إنك لن تقدر على التوبة . . فقل : إن شاء الله سأقدر عليها . . فمعي القوي المتين . . سيعينني . . أحسِن ظنك بالله . . وهو يعينك . . اللهم تب علينا وعلى عصاة المسلمين .

أخي : لا تسوف عَجِّل عَجِّل . . هيا هيا . . تب من هذه اللحظة . . واصبر على توبتك . . فكم نصبر أمام الأفلام والتمثيليات . . وحتى المرضى يتصبرون في غير هذا الموطن . . فلنصبر ولنصبر ولنصطبر . . ولنضغط على أنفسنا . . فإنها لن تأتيَ إلا كَرْهًا . . أما إذا انتظرت أن تأتي نفسك بالمبادرة . . فلن تأتي أبدًا . . فمن يتصبر يصبره الله . .

كم وقفنا وتصبرنا على أبواب الآدميين . . أفلا نتصبر على باب رب العالمين . . إننا نريد أن يرى تعبنا وجهدنا . . فيرحم ضعفنا . .

أخي التائب : إذا أردت الإعانة استعن بالمعين . . وقد أعانك . . واعلم أن توبة العبد محفوفة بتوبتين . . توبة قبلها وتوبة بعدها . . ﴿ **ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا** ﴾ [التوبة: ١١٨] .

فأخبر سبحانه وتعالى أن توبته على الثلاثة الذين خُلِّفُوا سبقت توبتهم . . وأنها هي التي جعلتهم تائبين . . فكانت توبة الله عز وجل عليهم سببًا مقتضيًا لتوبتهم . . فإنه سبحانه يتوب على العبد أولاً . . إذنًا وتوفيقًا وإلهامًا . . فيتوب العبد . . فيتوب الله عليه ثانيًا . . قبولاً وإثابة . . يتوب الله

عز وجل على العبد إذنًا. . يأذن له في التوبة. . قال الله تعالى : ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]. . فلابد أن يأذن الله لكي يتوب. . ثم يُوَفِّقَه. . وإذا حُرِم العبدُ التوفيقَ. . يجد في كل خطوة عَثْرة. . وفي كل حركة خــذلانًا. . نعــم.

أخي التائب: إن العبد إذا حرم التوفيق. . يجد في كل خطوة عثــرة. . وفي كل حركة خذلانًا. . نعوذ بالله من الخذلان. . ثم يتوب الله عليه ثانيًا. . قبولاً وإثابة. . وهذا سر من أسرار اسْمَي الله (الأول والآخر). . فإنه سبحانه المعد والممد لكي تتوب. . لابد أن تعرف الله. . أن تعرف أسماءه وصفاته. . فمن أسرار اسمي الله الأول والآخر. . أنه سبحانــه منه السبــب والمسبب. . العبد توّاب والرب توّاب. . فتوبة العبد رجوعه إلى سيده بعد الإباق. . وتوبة الرب نوعان الأول: إذن وتوفيق. . والثاني : قبول وإثابة. .

وللتوبة مبتدأ ومنتهى. . مبــدؤها : الرجــوع إلى الله بسلــوك الصـراط المستقيــم الذي أُمِر بسلــوكه. . ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٣]. . ونهايتها: الرجـــوع إليه في الميعاد. . وسلوك صراطه الذي نصبه موصلاً إلــى جنتــه. . فمــن رجــع إلى الله في هذه الدار بالتوبة. . رجـــع الله إليه في الميعاد بالثواب. . قال تعالى : ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان: ٧١]. . اللهــم تــب علينــا.

أيها الإخوة : إن التوبة شاقة نعم.. ولكن إذا أقبلت فإن الله معينك لا محالة.. إذا اعتمدت على حولك وقوتك فلن يكون لك شيء.. أما إذا استعنت بحول الله وقوته أعانك ووفقك.. وإنه ليسير على من يَسَّرَه الله عليه.. ولكن المخذول محروم.. من يستصعب الأمر هو من يَزِلُّ عن الصراط المستقيم حقًّا..

نقول : ليست كل الخيل للسباق.. وليس كل الطير مما يحمل الكتب.. من الناس من تشغله في الدنيا سوداء.. ومن الناس من لا يلهيه في الجنة حوراء.. نعم من الناس من لا يلهيه في الجنة قصر.. ولا يسليه عن حبيبه نهر.. قوته في الدنيا الذكر.. وفي الآخرة النظر إلى وجه الله الكريم..

يا مخنث العزم أين أنت والطريق؟!!.. يا مخنث العزم يا من يستصعب حتى التوبة.. يا مسكين استعن بالقوي المتين.. يا ضعيف استعن بمالك السموات والأرض القاهر القادر.. يا مخنث العزم أين أنت والطريق؟!.. الطريق سبيل نَصَبَ فيه آدم.. ناح لأجله نوح.. رُمي في النار إبراهيم الخليل.. أُضجع للذبح إسماعيل.. بيع يوسف بدراهم.. ذهبت من البكاء عين يعقوب.. نُشر بالمناشر زكريا.. ذُبح الحصور يحيى.. ضَني بالبلاء أيوب.. زاد على المقدار بكاء داود.. تَنَغَّص في الملك عيش سليمان.. طريق طويلة!!.. تحير بردِّ « لن » نبي اللَّه موسى.. هام مع الوحوش عيسى.. عالج الفقر والأسى سيد البشر محمد ﷺ ..

فيا دارهم بالحزن إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

أيها التائب : إن أول قدم في الطريق بَذْلُ الروح.. فإن كنت تقدر على بذل الروح فتعال.. وإلا فاذهب وَالْعَبْ مع اللاعبين.. أول قدم في الطريق بذل الروح.. هذه الجادة.. فأين السالك؟!.. هذا قميص يوسف فأين يعقوب؟!!.. هذا طور سينآء فأين موسى؟!!.. بدم المحب يباع وصلهم .. فمن الذي يبتاع بالثمن؟؟..

أخي في الله: إن خرجت اليوم ولم تتب خرجت من أولي الفهم.. اللهم ارزقنا توبة تقبلها.. اللهم ارزقنا توبة ترضيك .

لنتـــب إخوتـــاه

واعلموا أن التوبة ليست كلامًا.. أبدًا ما كانت التوبة كلامًا..

إن **التائب**.. منكسر القلب.. غزير الدمعة.. حي الوجدان.. قلق الأحشاء..

التائب.. صادق العبارة.. جَمٌّ المشاعر.. جَيَّاش الفؤاد.. مشبوب الضمير..

التائب.. خَلِيّ من العجب.. فقير من الكبر.. مُقِلٌّ من الدعاوي.

التائب.. بين الرجاء والخوف.. بين السلامة والعطب.. بين النجاة والهلاك..

التائب.. في قلبه حرقة..

التائب.. في وجدانه لوعة..

التائب.. في وجهه أسى..

التائب.. في دمعه أسرار..

التائب.. يعرف معنى الهجر والوصال.. يعرف معنى الوصال واللقاء.. يعرف التائب.. يفرق بين اللقاء والفراق..

التائب.. بين الإقبال والإعراض.. مُجَرِّب.. ذاق العذاب في البعد عن الله.. وذاق النعيم حين اقترب من حب الله .

التائب.. له في كل واقعة عِبْرة.. إذا رأى جمعًا ذكر القيامة.. وإذا رأى مذنبًا بكى عليه خوفًا من ذنوبه.. إذا رأى نعيمًا خاف أن يحرم الجنة.. إذا رأى نارًا ظن أنه مواقعها..

التائب.. إذا هدل الحمام بكى.. وإذا صاح الطير ناح.. وإذا شدا البلبل تذكر.. وإذا لمع البرق اهتز قلبه.. خوفًا ممن يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته.

التائب إخوتاه.. يجد للطاعة حلاوة.. يجد للعبادة طلاوة.. يجد للإيمان طعمًا.. يجد للإقبال لذة.. اللهم اجعلنا من التوابين.

التائب.. يكتب من الدموع قصصًا.. وينظم من الآهات أبياتًا.. ويؤلف من البكاء خطابًا.

التائب.. كالأم اختُلِسَ منها طفلها.. ثم اختلست طفلها من يد الأعداء.. أتدري كم فرحتها؟!.. أتقدر سعادتها؟!

التائب.. كالغائص في البحر.. إذا نجا من اللجة إلى الشاطئ.. بعد أن أيس من النجاة..

التائب.. كالعقيم بُشِّرَ بولد..

التائب.. كالرجل البارز للإعدام ثم عفي عنه..

التائب.. أعتق رقبته من أسر الهوى.. أطلق قلبه من سجن المعصية..

التائب.. فك روحه من شباك الجريمة.. أخرج نفسه من كير الخطيئة..

التائب إخوتاه.. كالطائر الجريح لا يختال..

التائب.. كالقمر الكاسف لا يتكلم ..

التائب.. كالنجم الغابر لا يصيح..

لو رأيت التائب.. لرأيت جفنًا مقروحًا.. تبصره في الأسحار على باب الاعتـذار مطروحًا.. سمع قول الإله يوحي فيما يوحى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا**﴾ [التحريم: ٨]..

التائب.. قد نحل بدنه الصيام.. أتعب قدمه القيام.. حلف بالعزم على هجر المنام.. فبذل لله جسمًا وروحًا.. وتاب إلى الله توبة نصوحًا.

التائب.. الذل قد علاه.. والحزن قد وهَّاه.. يذم نفسه على هَوَاه.. وبذلك صار عند الله ممدوحًا.. لأنه تاب إلى الله توبة نصوحًا.

أين من يبكي جنايات الشباب؟!.. أين من يبكي على الخطايا التي سوَّدَ بها الكتاب؟!!.. أين من يأتي إلى الباب فيجد الباب مفتوحًا.. توبوا إلى الله توبة نصوحًا .

نسألك اللهم توبة نصوحًا.. نذوق بها برد اليقين.. وطعم الإخلاص.. ولذة الرضا.. وأُنْس القبول .



لماذا لا نتوب؟!

أيها العاصي المتخلف عن ركب التائبين

سار المجدون وتركوك ونجا المخفون وخَلَّفوك

نادهـــم إن سمعـــوك واستغث بهم إن رحموك



لماذا لا نتوب؟؟؟

إن التوبة ليست كلمة تقال.. ليست ظنًّا.. فإذا تبت فاصدق.. وعالج الصدق.. وتعال لنتساءل.. لماذا لا نتوب؟.. إننا لا نتوب توبة نصوحًا لوجود عوائق في طريق التوبة.. سبع عوائق في طريق التوبة.

العائق الأول : تعلق القلب بالذنب .

القلب قد يتعلق بالذنب.. يتعلق بامرأة.. يتعلق بسيجارة.. يتعلق بمال.. بحب النفس.. يتعلق بشيء من الذنوب والمعاصي.. والقلب إذا تعلق بشيء عز اقتلاع هذا الشيء منه.. ولكن تعالوا لنعالج تعلق القلب بالذنب في نقاط :

١ ـ نسيان الذنب :

أن تنسى ذنبك.. ففي بعض الأوقات قد يفيد تذكر الذنب لينكسر القلب بين يدي الله إذا رأى العبدُ من نفسه عُجبًا أو كبرًا.. فعندما يتذكر ذنبه فإنه يذل لله.. أما إذا رأى من نفسه أنها إذا تذكرت سابق ذنوبها تهيج خواطرها للعودة للمعصية فلينس ذنبه.. يقول بعض السلف: إنك حال المعصية كنت في حالة جفاء مع الله .. وأما بعد التوبة فقد أصبحت في حالة صفاء مع الله سبحانه وتعالى.. وإن ذكر الجفاء في وقت الصفاء جفاء.. ولذا انْسَ ذنبك ولا تفكر فيه.. حتى لا تهيج في قلبك لواعج المعصية.. وتتذكر حلاوة مواقعة الذنب.

٢ ـ هجر أماكن المعصية :

أن تهجر مكان المعصية تمامًا .. لا تعد إليه.. انظر إلى قيس المجنون وهو يقول :

أَمُـــرُّ على الديار ديار ليلى　　فألثم ذا الجدار وذا الجدار

وما حب الديار شغفن قلبي　　ولكن حب من سكن الديار

إن البكاء على الأطلال سمة من تعلقت قلوبهم بغير الله.. فمن كان يعرف امرأة وتاب منها.. تجده يمشي في الطريق يفكر فيها ويتذكر أيام المعاصي.. ستعود يا مخذول.. اهجر المكان.. لا تعد إليه مرة أخرى.. لا تمُرَّ به.. وإن مررت فابكِ على معاصيك.. قال ﷺ : « **لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين .. فإن لم تكونوا باكين فلا لا تدخلوا عليهم.. لا يصيبكم ما أصابهم** »[١] .

فالذي يريد النجاة لا يسكن في أرض موبوءة فإن ميكروب المرض لابد أن يصيبه فكيف لتائب من الزنا أن تحسن توبته وهو لا يترك العمل في المراقص.

وكيف لتائب من مصاحبة النساء أن تصح توبته وهو لا يترك أماكن تجمع النساء ويمتنع من الاختلاط والمصافحة والكلام .

وكيف لتائب من التدخين وهو يجلس وسط المدخنين فلا ينهاهم أو يفارق مجلسهم.

---

(١) متفق عليه . أخرجه البخاري (٤٣٣) كتاب الصلاة . باب الصلاة في مواقع الخسف والعذاب ، (٣٣٨٠) كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى : ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحًا ﴾ ، (٤٤١٩) كتاب المغازي باب نزول النبي ﷺ الحجر، (٤٧٠٢)، كتاب تفسير القرآن باب قوله ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾، ومسلم (٢٩٨٠) كتاب الزهد والرقائق . باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين .

لابد من هجر أماكن المعصية . .

وهذا قاله ﷺ عندما مروا بديار ثمود.

٣ ـ تغيير الرفقة :

وذلك بالالتصاق بالصالحين. . ومن تذكرك رؤيتهم بالله تعالى. . وتعينك صحبتهم على طاعة الله.

٤ ـ استشعار لذة الطاعة :

اللهم أذقنا برد عفوك. . ولذة عبادك. . وحلاوة الإيمان بك . . استشعار لذة العبادة. . لماذا؟ . . لأنك إذا استشعرت لذة العبادة. . تستعيض بها عن لذة المعصية. . إن للمعصية لذة. . وللغافل متعة. . ولكن إذا استشعر لذة العبادة. . وما أدراك ما لذة العبادة؟! . . سَجَدَ فتمتع واستشعر قربه من الله. . وحب الله. . ولطف الله وكرمه وجوده. . حيث استشعر هذا فاض قلبه بالإيمان وزاد. . وكلما خطر له خاطر المعصية هرع إلى الصلاة. . استشعر لذة القرآن. . لذة مخاطبة الله لك. . مخاطبة ملك الملوك لك. . رب الأرباب. . القاهر المهيمن. . حين تستشعر لذة العبادة تحتقر لذة المعصية وتستقذرها. .

٥ ـ الانشغال الدائم :

إن الفراغ والشباب والجدة   مفسدة للمرء أي مفسدة

اعمل فإنك إن لم تشغل قلبك بالحق شغلك بالباطل. . ابدأ بحفظ القرآن. . احفظ السنة. . تعلَّمْ الفقه. . تعلم العقيدة. . اقرأ سيرة المصطفى ﷺ . . انظر في سيَر السلف الأوائل. . ابدأ بالعمل في الدعوة. . تحرَّكْ لنصرة دين الله. . ساعد الفقراء. . ارعَ المساكين. . علِّم الأطفال. . انشغل. . فهذا الانشغال يقطع تعلق قلبك بالذنب.

٦ ـ صدق الندم واستقباح الذنب :

أن تصدق في الندم على ما فات . . فيعافيك الله مما هو آت . . اصدق الله يصدقك . . اصدق في الندم واستقباح الذنب . . بأن تعتقد قذارة المعصية . . فلا تعود إليها . . ويعينك الله على الثبات بعيدًا عنها .

٧ ـ تأمل أحوال الصالحين :

قيل لبعض السلف: هل يستشعر العاصي لذة العبادة؟! . . قال : لا والله ولا مَنْ هَمَّ . . حين تتأمل أحوال الصالحين وتتأمل ـ مثلاً ـ حال معاذ بن جبل لما مرض بالطاعون فقال لغلامه : انظر هل أصبحنا؟ . . قال : لا بعدُ . . فقال : أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار . . من القائل؟!! . . معاذ بن جبل . . إنه يَخْشَى النَّار . . فماذا تقول أنت؟ . . واعجبًا لخوفِ عمر مع عمله وعدله . . ولأمنك مع معصيتك وظلمك . .

٨ ـ قصر الأمل ودوام ذكر الموت :

إن الذي يذكر الموت بصفة دائمة يخشى أن يفاجئه الموت . . فيلقى الله على معصيته . . فيلقيه الله في النار ولا يبالي . .

قال الحسن : **أخشى أن يكون قد اطلع على بعض ذنوبي فقال: اذهب فلا غفرت لك ..**

قال الحسن : **أخشى واللَّه أن يلقيني في النار ولا يبالي.**

أول عمل تعمله أن تخلص قلبك من الذنب . . كما قال ابن الجوزي :

دبر لنفسك إنك إذا اشتبك ثوبك في مسمار.. رجعت إلى الخلف لتخلصه.. وهذا مسمار الذنب قد علق في قلبك أفلا تنزعه.. انزعه ولا تدعه في قلبك يغدو عليه الشيطان ويروح.. اقلع الذنب من قلبك.. فاللهم طَهِّرْ قلوبنا..

٩ ـ تعويد النفس على فعل الحسنات والإكثار منها:

عَوِّدْ نفسك على الإكثار من الحسنات.. فإن الحسنات يذهبن السيئات.. والماء الطاهر إذا ورد على الماء النجس يطهره.. قال ﷺ: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**» [(١)] و« **إذا كان الماء قلتين لا يحمل الخبث** » [(٢)].

العائق الثاني من عوائق التوبة : استثقال التوبة واستصعاب الالتزام :

وهذا من فعل الشيطان والنفس الأمارة بالسوء.. بعض الناس إذا قلت له : تُبْ.. قال لك : إن هذا من العسير.. فمثلاً المدخن يقول : إن لي عشرين عامًا وأنا أدخن.. فكيف أتوب منه؟!.. أو يقول: إنني منذ عرفت عيناي الرؤية وأنا أنظر إلى النساء.. كيف أتوب؟!.. كيف أنتهي عن الكذب والنميمة.. أو يقول: إنني طوال حياتي أرسم للناس صورة خيالية عن

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٧) كتاب البر والصلة باب ما جاء في معاشرة الناس وقال : حديث حسن صحيح ، والإمام أحمد في « مسنده » (٢٠٨٤٧) ، (٢٠٨٩٤) ، (٢١٠٢٦) في « مسند الأنصار » ، والدارمي (٢٧٩١) كتاب الرقاق . باب في حسن الخلق، وذكره ابن رجب في « جامع العلوم والحكم » وتوسَّع في الحكم عليه فانظره هناك ـ أخي الكريم ـ إن شئت الاستزادة.

(٢) الترمذي (٦٧) كتاب الطهارة . باب ما جاء أن الماء لا ينجش شيء . صححه الشيخ الألباني في « أرواء الغليل » رقم (٢٣) .

نفسي.. ولا أستطيع أن أهدم تلك الصورة الآن.. إنهم يقولون: إن الملتزمين قد حرَّموا كل شيء.. السجائر.. الخمر.. الموسيقي والأغاني.. المخدرات.. كل هذا حرام فما بقي لنا..سبحان الله العظيم.. إن الحرام أشياء معدودة.. والحلال لا حصر له.. ولكن نحن نتناسى أن الأصل أن تعيش لله وبالله .. لا تستثقل الالتزام مثل أن تقوم لتصلي الفجر في حين تعودت أن تنام حتى العصر.. ألا ترى خيبتك في أن حوَّلْتَ الليل إلى نهار.. والنهار إلى ليل.. يقول ربنا : ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا** ﴿١٠﴾ **وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا**﴾ [النبأ: ١٠، ١١].. وقال : ﴿**مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ**﴾ [القصص: ٧٢].. فالليل سكون.. وأنت قد قلبت السكون إلى ضجة وموسيقى.. وعشت ليلك نهارًا.. عندها لن يكفيك نوم النهار كله.. ولكن إذا حاولت ضبط نفسك.. فتنام مبكرًا وتستيقظ مبكرًا.. كما قالت أم المؤمنين عائشة : **عجبت لمن ينام عن صلاة الصبح كيف يرزق؟**.. فبعد صلاة الصبح تقسم الأرزاق.. أنت تنام ولا تصلي والله يرزقك.. ألا تخجل من نفسك؟!.. تعصي الله وهو يمهلك..

والسؤال ـ الآن: كيف يمكن الخلاص من استثقال التوبة واستصعاب الالتزام ؟

عليك الآن بالآتي :

١ ـ دفع التسويف :

فورًا وبلا تردد والتوبة بادي الرأي.. ألا تفكر قبل أن تتوب.. وأن

تسلم لله سبحانه وتعالى.. وانظر لكلمة علي رضي الله عنه (ولا نعلم مدى صحة نسبتها إليه) أنه لما عرف الإسلام قال له الرسول ﷺ : « **ألا تستشير والديك** ».. قال : وهل استشار الله سبحانه وتعالى والدي حين خلقني.. فهل يصح أن تستخير على أن تصلي العصر أو لا ؟.. ففيم تستخير؟.. وعلام؟.. واجب عليك أن تتوب الآن وفورًا.. فإن التوبة فرض.. واجب.. هل تفكر هل تتوب أم لا؟!.. كمن يستفتي الناس في شرع الله هل نطبقه أو لا ؟!.. إنها أوامر الله.. فهل تطيع أو تعصي؟!.. لذلك فإن أول علاج لاستثقال التوبة واستصعاب الالتزام: دفع التسويف فورًا.. وتحرير النية.

٢ ـ الصدق مع اللَّه :

إذا صدقت مع الله فسيعوضك الله خيرًا مما تركت.. فمن ترك العمل في البنوك الربوية لله رزقه الله من حيث لا يحتسب.. فسبحانه الذي يُطعم ولا يُطعَم.. وهو الذي قال: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].. وسبحانه قال : ﴿**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ**﴾ [الذاريات: ٢٢، ٢٣].. وعز من قائل : ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾ [هود: ٦].. سبحانه قال : ﴿**وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا**﴾ [فصلت: ١٠] .. تخاف أن يجيعك الله وأنت لا تنظر ماذا قد عملت من أجله؟!.. يجب عليك أولاً : الصدق مع الله.. اصدق الله يصدقك..

تُبْ له صادقًا يكفيك كل ما أهمّك. ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]. . واعلم أن ما عند اللَّه لا يُنال إلا بطاعته .

٣ ـ التبرؤ من الحول والقوة :

أن تتبرأ من كل حول وقوة. . وأن تستشعر الإعانة والمعية. . وحسن الظن بالله سبحانه وتعالى. . إن كل صعب بحول الله وقوته يصير سهلاً. . فإذا استعنت بالله أعانك. . والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يُقَلِّبها كيف يشاء. . فهو قادر على أن تبيت وأنت تحب المعاصي وتصبح وأنت تكرهها. . وما يدريك؟. . إن التبرؤ من الحول والقوة : أن تدع حولك وقوتك. . عزيمتك وهَمَّك. . وأن تستعين بالملك القادر. . القاهر. . أن تستعين به. . لما هُدِّد شعيب: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨، ٨٩]. . هكذا تتبرأ من الحول والقوة. . يقول على الله توكلنا. . انتهت القضية. . اصنعوا ماشئتم. . قالها نوح من قبل: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ﴾ [يونس:٧١]. .وقالها هـود ـ عليـه السلام ـ: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي

وربكم﴾ [هود:٥٥،٥٦]. . فكما قلنا من قبل. . إن نواصينا ونواصي أعدائنا في يد ملك واحد. . في يد رب واحد. . يصنع بنا وبهم كيف يشاء. . لذلك تَبَرَّأ من حَوْلك وقوتك. . استشعر معية الله. . ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]. . بعلمه وإحاطته وحوله وقوته. . معك ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة:١٨٦]. . وقال ﷺ : « **احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك** »[1] .

أيها الأحبة في الله : لاستشعار المعية انظر وقارن بين قول الله عز وجل: ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١١ - ١٤]. . في مقابلها لما قال موسى عليه السلام لربه : ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٥، ٤٦]. . قارن بين الآيتين في الأولى : ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤]. . على سبيل التهديد والوعيد. . وفي الأخرى على سبيل تثبيت القلب واطمئنانه. . والركون إليه وصدق اللجوء إليه. .

في حال المعصية تتذكر ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾. . أي سينتقم إن لم ترجع. . وفي حال التوبة تتذكر ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾. . معية رحمة وإعانة وتوفيق وتسديد وهداية .

---

(١) رواه أحمد (١/٢٩٣) ، وألو يعلى (٢٥٥٦) عن يونس بن محمد ورواه الترمذي (٢٥١٦).

العائق الثالث من عوائق التوبة : الاعتذار والتعلل والبحث عن المبررات وتزيين الشيطان :

من أخطر عوائق التوبة : تزيين الشيطان . . عندما تقول لامرأة: إنك متبرجة . . لم لا ترتدين الخمار؟! . . تقول لك: إنها ظروف . . إن زوجي لا يرضى . . وأبى لا يرضى . . فهذا هو البحث عن المبرر . . وإذا سألت حليق اللحية: لم تحلقها؟! . . يقول : طاعة الأب . . وبر الوالدين فرض . . مبررات . . إنه الهوى أو ما يسمى بالمنطق التبريري . . وهو أكبر مرض يواجه شباب الصحوة . . تزيين الشيطان . . ﴿**أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا**﴾ [فاطر: ٨] . . نجد هذا يطيل ثوبه . . ويقول : إنه لا يطيله بسبب الكبر . . وإذا كانت الموضة تأمر بأن يكون رداء الرجل حتى الركبة لاتَّبعها الجميع . . ولكن عندما يقول النبي ﷺ : « **ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار..**»[1] . . أي : أن إسبال الثوب في النار . . فهنا تخرج علينا المبررات . هذا هو تزيين الشيطان . .

والعلاج الدافع لهذا السبب : طلب العلم واتهام النفس.

العائق الرابع : الاغترار بستر اللَّه وتوالي نعمه :

فإذا أذنب العبد الذنب وستره الله . . وأذنب الثانية وستره الله . . فيظن أن السر إنما كان بحسن تخطيطه . . ولم يفكر أن القضية ليست بحسن التخطيط . . وإنما القضية بستر الحليم عليه . . وعلاج هذا بالخوف من

(١) تقدم تخريجه .

العقوبة.. وتَذَكُّرِ من هتك الله ستره.. والعلم بأن الإمهال استدراج.. قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : « **إذا رأيت اللّه يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج** »[1] .. وقال تعالى : ﴿**سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ**﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥].. لله المثلى الأعلى.. لكننا سنطرح هنا مثالاً.. كموظف دخل ذات مرة.. ووجد نقودًا في درج المكتب الخاص بالمدير فأخذها.. فشَكَّ المدير في هذا الرجل.. وحتى يستدرجه.. فإنه في مرة أخرى يضع نقودًا في نفس الدرج.. ويتغافل حتى يضع الموظف يده في الدرج لأخذ النقود.. فعندها يمسكه.. ويقول له : إنه لم يَفْصِله من عمله في المرة الأولى لا لعدم التأكد.. وإنما وضع المال في تلك المرة استدراجًا.. إن هذا مَثَلٌ للاستدراج ولله المثل الأعلى.. فتجد الشاب قد فعل كذا وكذا.. وستره الله.. ويطلب من الله الرزق فيعطيه.. وقد قلنا من قبل وحذَّرْنا.. فإياك أن تظن أن إجابة الله لدعائك كرامة.. فقد يعطي الله العبد ما يطلب وهو يكرهه.. ليكون فيه هلاكه. أليس الله قد أجاب إبليس دعوته.. وهو أبغض خلقه إليه.. عندما قال له إبليس : ﴿**قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ**﴾ [الحجر: ٣٦، ٣٧].. فأنت تطلب الرزق.. والزوجة الجميلة.. الطيبة.. والوظيفة المريحة.. فيعطيك.. وعندها تظن أن الله يحبك.. ألا ترى معاصيك ومخازيك.. ﴿**وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٦٨٦٠) في « مسند الشاميين» و قال الشيخ الألباني ـ حفظه اللّه ـ : إسناده جيد راجع « مشكاة المصابيح » حديث (٥٢٠١)

لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨]. . ألا تتدبر قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا** ﴾. . إن الله يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب. . فانظر إلى الدنيا. . لقد أعطاها الله للكفرة والفاسقين. . أيعني ذلك أنه يحبهم؟!. . أبدًا. . فخف من الله قد قربه منك. . ارْجُهُ قَدْرَ قربه منك. . ولا يأمن مكر الله إلا القوم الفاسقون.

العائق الخامس من عوائق التوبة : تعلق الذنب بأحكام يخشى العاصي منها بعد التوبة :

فإن الشاب قد يزني. . وهو قد سمع أن من زنى يُزنَى به ولو في جدار بيته فيقول. . إذن لِمَ أتوب؟. . فإذا سمع قول الله ﴿ **الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً** ﴾ [النور: ٣]. . فيقول : إذن لن أتزوج. . فإن من أتزوجها لابد وأن تكون زانية. . وهذا كلام مجانب للصواب. . ألم يقل الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ** ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

المقصود أن القلب قد يتعلق بأحكام. . فقد يظن أنه لو تاب يرجم ويقام عليه الحد. . فيقول : دعني مع الذنوب إذن. من سرق مالاً يؤمر بعد التوبة أن يرد المظالم. . فيرى أنه لن يستطيع ذلك. . فيقول لك : دعني لا فائدة. . وهكذا. . ولكن لا يجب الاستسلام لتلبيس إبليس. . فإنه يصنع من الذنب خندقًا يحاصرك فيه. . فلا تخرج من الذنب أبدًا . . فيقول هل ستتوب؟!. . إنك لن تستطيع. . إنك لا تصلح للتوبة. . ففرعون وقارون وهامان وأبي بن خلف لم يصنعوا ما صنعت. . فهكذا يؤيسه. . وقد قال الله

تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٥٣]. . وأنه سبحانه يقبل التوبة عن عباده . . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦]. . فلا تقنطوا من رحمة الله فالتوبة تَجُبُّ ما قبلها . . قال ربنا : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ﴾ [الحجر:٤٩، ٥٠]. . إن لم يتوبوا . . قال اللَّه في الحديث القدسي : « **يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة** »[1] .

العائق السادس من عوائق التوبة : الابتلاءات التي تقع على التائب بعد التوبة :

يقول ربنا: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:٢، ٣]. . لابد هنا من العلم بأنك عندما تتوب سيعاديك أهلك . . ستجد نفسك بعد أن كنت حليقًا . . ترتدي أحدث الموضات . . يتهافت عليك الناس في الوظائف . . وعندما تبت إلى الله . . ورجعت إليه . . فأعفيت لحيتك . . ولبست القميص الأبيض والعمامة . . تبحث عن عمل فلا تجد . . فعندها يجب أن تتذكر قول الله سبحانه وتعالى عندما يقول : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ﴾ [الحج: ١١]. . ستجد العداء من زملائك في العمل . . فهذا المدير الذي كنت تنافقه . . لن يجد منك ذلك . . فيضجر منك . . وقد صار النفاق ـ الآن ـ هو الطريقة الخبيثة لإنهاء المصالح . . ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) رواه أحمد (٥/ ١٧٢) والدارمي (٢/ ٣٢٢)، والترمذي (٣٥٤٠) وقال : حديث حسن وهو كذلك .

المقصود.. ستجد العداء من المدير والزملاء.. الأهل والأقارب.. الزوجة والأصدقاء.. الجيران.. عداء من جميع الجبهات.. قال ورقة بن نوفل للنبي ﷺ : ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك.. فقال له ﷺ مرتاعًا: « **أوَ مُخْرِجِيَّ هم؟**».. قال : نعم.. لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي[1] .. وقوم صالح ﴿**قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا**﴾ [هود: ٦٢].. كنا نحبك.. ماذا حدث لك لترافق المتطرفين.. أجننت؟!!.. بعض الناس يرى العداء.. يفاجأ بأن الدنيا قد اشتعلت من حوله.. فيعود من حيث أتى.. ولكن اعلم قول الله تعالى : ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ**﴾ [الحج: ٤٠].. هذه سنة الله الكونية أن يكون العداء في البداية ثم يكون ظهور الحق قال الإمام الشافعي : " لا تمكِّين حتى يبتلى ".. الكل سيعلم أنك على حق.. واعلم أنك إما أن تكون شهادة حق للإسلام.. وإما أن تكون شهادة زور ضد الإسلام حين تعود لتلك الشرور والمعاصي..

قلنا مرارًا وتكرارًا: إن انتصار المسلمين ـ يوم حُوصروا في الشِّعب ثلاث سنين ـ لم يكن أقل من انتصارهم في غزوة بدر.. لأن المشركين حين رأوا الثبات.. قالوا: إن المسلمين على حق.. وكذلك فعندما يرون منك الثبات.. سيقولون.. إن الملتزمين على حق.. فإياك أن ترجع واستعن باللَّه واثبت..

(١) أخرجه البخاري (٤) كتاب بدء الوحي، ومسلم (١٦٠) كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ .

العائق الأخير : العصرة التي تصيب قلب التائب :

يقول ابن القيم في كتاب « طريق الهجرتين » [ص٣٤٠ ط دار الحديث] :

.. ها هنا دقيقة قَلَّ من يتفطن لها إلا فقيه في هذا الشأن.. وهي أن كل تائب لابد له في أول توبته من عصرة وضغطة في قلبه.. من هَمٍّ أو غَمٍّ . أو ضيق أو حزن.

يجب أن تشعر بهذه العصرة عندما تتوب. . الخوف من أن تكون قد ضللت الطريق. . فأنت لا تعرف جوانب الطريق. . لا تدري أوله ولا تعلم إلى أين يفضي بك آخره. .

يقول ابن القيم :

ولو لم يكن إلا تألمه بفراق محبوبه. . فقد كانت الذنوب محبوباته. . أنيسته في وحشته. . فعندما يتوب سوف يفقد هذا الأنيس. . سوف يفقد أشياء كان يحبها. . سيتألم لفراق عيوبه التي لازمته ردحًا من الزمان. . فينضغط قلبه. . وينعصر لذلك . . ويضيق صدره. . فأكثر الخلق يتوبون. . ثم ينكثون على أعقابهم. . ويعودون إلى المعاصي لأجل هذه المحبة للمعاصي. . والعالِمُ المُوفَّق يعلم أن الفرحة والسرور واللذة الحاصلة عُقيب التوبة، تكون على قدر هذه العصرة. . فكلما كانت العصرة أقوى وأشد. . كانت الفرحة واللذة أكمل وأتم. .

والسؤال لماذا ينتاب المرء هذه العصرة ؟

فالجواب : أَبْشِر

١ ـ إن هذه العصرة دليل على حياة قلبك وقوة استعداده. . لو كان

قلبك ميتًا واستعدادك ضعيفًا لما انعصر..

٢ ـ اعلم أن الشيطان لص الإيمان : واللص إنما يقصد المكان المعمور.. بمعنى أنه يحاول سرقة الإيمان من القلب المعمور به.. إنه لا يذهب إلى المقهى أو إلى الملهى.. فمن يجلس هناك ليس في قلبه ما يسرق.. إنما يقصد المكان المعمور من أجل السرقة..

لما قيل لابن عباس: **إن اليهود يقولون : نحن لا نوسوس في الصلاة.. قال : سبحان اللَّه كيف يوسوس الشيطان لشيطان**.. هم شياطين.. والشيطان لص الإيمان.. والشيطان إنما يقصد المكان المعمور.. أما المكان الخَرِب فلا يرجو أن يظفر منه بشيء.. فإذا قويت المعارضات الشيطانية.. قويت العصرة.. فيوسوس لمن لبست النقاب.. ما الذي دفعك لهذه الفعلة الشنعاء؟!.. أما انتظرت حتى تتزوجي؟!.. ويوسوس لمن التزم وأعفى اللحية.. أما كنت انتظرت قليلاً قبل الالتزام حتى تُكوِّن مستقبلك ؟!.. المقصود أن هذه العصرة وسوسة من الشيطان.. إذا دخل الشيطان ليوسوس دل على أن في قلبك من الخير ما يشتد حرص الشيطان على نزعه منه.. فقل : الحمد لله .. واصبر.. واثبت.. واستعذ باللَّه من الشيطان الرجيم.. إنه هو السميع العليم.

٣ ـ إن قوة المعارض والمضاد تدل على قوة معارضه وضده : فالإنسان إما أن يكون رأسًا في الخير.. أو رأسًا في الشر.. إن النفوس الأبية القوية إذا كانت خَيِّرة.. صارت رأسًا في الخير.. وإن كانت شريرة صارت رأسًا

في الشر . . ولما كانت رأسًا في الشر . . حرص الشيطان على ألا تبقى في الخير . . فتحصل قوة مجاذبة بينك وبين الشيطان . . والبقاء للأقوى .

٤ ـ فإنه بحسب موافقته لهذا العارض وصبره عليه يثمر له ذلك من اليقين والثبات والعزم ما يوجب زيادة انشراحه وطمأنينته . . فهذا دليل على حرص الشيطان عليك . . وهذا دليل على قوة إيمانك . . لذلك ينعصر قلبك . . لأنه لو لم يكن فيه إيمان كان فوراً قد عاد من حيث أتى . . فلذلك ينبغي أن تعلم أن ثباتك وعزمك سيوجب لك بعد النصر انشراحًا وطمأنينة . .

٥ ـ كلما عظم المطلوب كثرت العوارض وهذه سنة اللَّه في الخلق . .

انظر إلى الجنة وعظمهـا . . انظـر في المقابل إلى الموانع والقواطع التي حالت دونها . . وقد قال رسول الله ﷺ : « **حُفَّت الجنة بالمكاره** »[(١)] . . حتى أوجبت أن ذهب من كل ألف رجلٍ رجلٌ واحد يدخل الجنة . . وقول الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي : « **يا آدم أخرج بعث النار فيقول آدم : وما بعث النار يا رب؟! يقول اللَّه سبحانه وتعالى : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة..** »[(٢)] . . فما السبب؟؟؟ .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٢٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، والترمذي (٢٥٥٩) كتاب صفة الجنة، والإمام أحمد (١٢١٤٩) ، (١٣٢٥٩)، (١٣٦١٦) في باقي « مسند المكثرين » .

(٢) متفق عليه . أخرجه البخاري (٣٣٤٨) كتاب أحاديث الأنبياء . باب قصة يأجوج ومأجوج، (٦٥٣٠) الرقاق . باب قوله عز وجل ﴿ إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾، (٧٤٨٣) كتاب التوحيد . باب قوله تعالى:﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده﴾ ، ومسلم (٢٢٢) كتاب الإيمان . باب قوله يقول الله لآدم: أخرج بعث النار، وأحمد (١٠٨٩٢) باقي « مسند المكثرين ».

السبب أن الجنة قد حُفَّتْ بالموانع والقواطع. . انظر إلى محبة الله سبحانه وتعالى. . والانقطاع إليه. . والتبتل إليه وحده. . والأنس به وحده. . انظر إلى محبته واتخاذه وليًّا ووكيلاً وكافيًا وحسيبًا. . هل يكتسب العبد أشرف من هذا؟!. . انظر إلى القواطع والحوائل المانعة دون ذلك. . هل الطرق الموصلة إلى محبة الله سبحانه وتعالى بهذه السهولة؟!. . إن هذا غير ممكن. . إن هذه الطرق تحتاج إلى الكثير من المجاهدة. . لذا ينبغي أن تنتبه إلى هذا الأمر. . انتبه إلى تلك العصرة الحادثة بالتوبة. . فلما كانت التوبة من أجَلِّ الأمور وأعظمها. . نُصِبَتْ عليها المعارضات والمحن. . ليتميز الصادق من الكاذب. . وتقع الفتنة ويحصل الابتلاء. . ويتميز من يصلح ممن لا يصلح. . قال سبحانه : ﴿**مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ**﴾ [آل عمران: ١٧٩]. . فاصبر على تلك العصرة قليلاً. . تفضي بك إلى رياض الأنس وجنات القدس.

يقول ابن القيم :

ولكن إذا صبر على هذه العصرة قليلاً.. أفضت به إلى رياض الأنس وجنات الانشراح.. وإن لم يصبر انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة.. ذلك هو الخسران المبين.

فاصبر ـ أخي في الله ـ على تلك العصرة ولا تهتم بها. . وتأمل نصر الله بعد ذلك. . فهذه العصرة لابد منها. . وهي علامة من علامات الصحة . فليطمئن قلبك . . وانطلق انطلق. .

ما هي أركان التوبة؟!

أولاً : الإخلاص :

الإخلاص أن تتوب خوفًا من الله.. وتعظيمًا وإجلالاً له.. وخشية سقوط المنزلة عنده.. وخشية البعد والطرد عنه.. والحجاب عن رؤية وجهه في الدار الآخرة..فتتوب لوجه الله الكريم وحده وابتغاء مرضاته..

وأهم خطوة من خطوات التوبة : الاستعانة بالله.

والانكسار والذل بين يديه.. والاعتراف بالخطيئة.. وإظهار الضعف.. والفقر إليه سبحانه.

يقول ابن القيم :

فالعبد ملقى بين الله وبين أعدائه.. من شياطين الإنس والجن.. فإن حماه منهم.. وكفَّهم عنه.. لم يجدوا إليه سبيلاً.. وإن تخلى عنه.. وَوَكَلَهُ إلى نفسه طَرْفَةَ عين ظفروا به فإذا أردت المدد من الله.. فلا بد من الافتقار إليه..

ثانيًا : الإقلاع :

أقلع عن الذنب فورًا بدون مماطلة.. فإنك إن أقمت على الذنب.. وقلت : يا رَبِّ تُبْ عليَّ.. فيرد عليك الكريم : أقلع عن الذنب وأنا أتوب عليك.. قال تعالى في الحديث القدسي : « **عبدي قمْ إليَّ أمْشِ إليك وامش**

إليَّ أهرول إليك » وقال : « **إا تقرب إليَّ العبد شبرًا تقربت أليه ذراعًا وإذا تقرب من ذراعًا تقربت منه باعًا** »[(١)] الحديث.. فلابد أن تبدأ وتتحرك بالإقلاع.. ثم يأتي المدد من الله.. وعلى قدر المئونة تأتي المعونة.

ثالثًا : الندم :

إن الندم يحصل بمطالعة الجناية.. وهذا يكون بتعظيم الحق جل جلاله.. ومعرفة مقامه.. ومعرفة أسمائه وصفاته والتعبد بها.. ومعرفة النفس وإنزالها منزلتها.. ومعرفة أن سبب كل شر يقع فيه ابن آدم فمن نفسه.. وتصديق الوعيد..

هذه هي الثلاثة التي يحصل بها الندم:

(١) معرفة الله .

(٢) معرفة النفس.

(٣) تصديق الوعيد.

ولأن عماد التوبة على الندم فسنقف هنا قليلاً **لنتأمل هذه الأمور الثلاثة:**

١ـ تعظيم الحق: فإذا أردت أن تعرف عظم الذنب.. فانظر إلى عظمة من أذنبت في حقه.. أكبر آفة وقع فيها أهل عصرنا.. وأكبر معصية ارتكبتها قلوب الأمة.. أنه زالت هيبة الله من القلوب.. هذه هي المأساة.. أننا صرنا نخاف من البشر أكثر من خوفنا من الله.. ونستحيي من البشر أعظم

---

(١) متفق عليه . رواه البخاري (٧٥٣٦) كتاب والتوحيد . باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه. ومسلم (٤٦٧٥) كتاب الذكر . والدعاء باب الحث على ذكر الله .

من حيائنا من الله.. ونرجو البشر أعظم من رجائنا في وجه الله.. لذا لما هان الله عندنا هُنَّا على الله.. والجزاء من جنس العمل..

أيها الإخوة : إن تعظيم الحق ألاَّ يرى في قلبك سواه.. ومن كملت عظمة الحق تعالى في قلبه.. عظمت عنده مخالفته.. لأن مخالفة العظيم ليست كمخالفة من هو دونه.. فينبغي أن يَعْظُم الله في قلبك .

يقول ابن القيم رحمه اللَّه تعالى :

واستجلاب تعظيم الرب.. أن تعرف الله سبحانه وتعالى.. وهو سبحانه يتعرف إلى العباد في قرآنه.. وعلى لسان نبيه.. بصفات إلهيته تارة.. وبصفات ربوبيته تارة أخرى..

فمعرفة صفات الإلهية توجب للعبد المحبة الخاصة.. والشوق إلى لقائه.. والأنس والفرح والسرور به.. هذا مما يوجبه النظر في صفات الألوهية .

مثل الصفات التي توجب عبادته جل جلاله صفات الأمر والنهي.. صفات العهد والوصية.. صفات إرسال الرسل.. وإنزال الكتب والشرائع.. هذه تنبعث منها قوة الامتثال والتنفيذ.. والتبليغ لها والتواصي بها.. والتصديق بالخبر والامتثال بالطلب.. والاجتناب للنهي..

الصفات التي تجلب التعبد أن يُسَرَّ في خدمته.. وينافس في قربه.. والتودد إليه بطاعته.. ويَلْهَج لسانُه بذكره.. ويفر من الخلق إليه.. ويصير الله وحده.. هو همَّه دون سواه.

أما شهود صفات الربوبية :

فإنها توجب التوكل عليه. . والافتقار إليه. . والاستعانة به. . والذل والانكسار له. . وكمال ذلك « هذا هو الشاهد الذي أريد أن يُوصَل إليه ».

يقول ابن القيم في " الفوائد " :

أن يشهد ربوبيته في إلهيته. . وإلهيته في ربوبيته. . أن تشهد حمده في ملكه. . وعزه في عفوه. . وحكمته في قضائه وقدره. . ونعمته في بلائه. . تشهد عطاءه في منعه. . بره وإحسانه ورحمته في قيوميته. . أن تشهد عدله في انتقامه. . وجوده وكرمه في مغفرته. . أن تشهد ستره وتجاوزه. . وحكمته ونعمته في أمره ونهيه. . أن تشهد عِزَّه في رضاه. . وغضبه وحلمه في إمهاله. . وكرمه في إقباله. . وغناه في إعراضه. . أن تعرف الله. فإذا عرفته عظم في قلبك.

ثم يعلق ابن القيم فيقول : من أعظم الظلم والجهل. . أن تطلب التوقير والتعظيم لك من الناس. . وقلبك خالٍ من تعظيم الله وتوقيره .

وعلينا أن ننتبه إلى هذه الفائدة الغالية :

فإنك توقر المخلوق وتُجِلُّه أن يراك في حالٍ لا توقر الله أن يراك عليها. . أيحب أحدكم أن يراه الناس وهو يزني؟!!. . كيف ترضى أن يراك الله على هذه الحالة؟!!. . ألا تستحيي منه؟!!. .

وصدق الله تعالــى : ﴿**يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَا أَنتُمْ**

هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾ [النساء: ١٠٨، ١٠٩].

والله علَّمَنَا . . قال لنا سبحانه وتعالى. . لينبهنا إلى تلك القضية أتم تنبيه. . لفت نظرنا إلى شيء نستشعره. . شيء موجود عندنا وجودًا ماديًا . . لأننا ننسى استشعار نظر الله ومراقبة الله. . فقال جل جلاله : ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ٢٢ - ٢٤].

لما كانت نفس الإنسان ضعيفة. . واستشعاره معية الله صعبًا ذكَّرهم الله بأن معهم شهودًا : سمعكم وأبصاركم وأيديكم وأرجلكم وبطونكم وفروجكم. . نعم ستشهد عليك. . فإذا أردت أن تعصي الله . . فاذكر أن الله معك يسمعك ويراك : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧] .

فإن لم تستشعر تلك القضية. . وعجز قلبك عن استحضار سمع الله وبصره معك. . فتخشاه. . فتخافه. . تخشى بطشه. . تخاف انتقامه. . تستحيي منه أن يراك على العيب. . وهو الذي يسترك. . فوقك قاهر. . وعليك قادر. . ومنك قريب. . عليك رقيب. . يستطيع أن ينتقم ويأخذ

حقه.. ولكنه الحليم.. والحيي الستير.. جل جلاله.. وعجز قلبك عن استحضار تلك المعية.. فلم تستطع أن تختفي من الله.. ولا أن تستتر منه.. فتذكر أن معك عينًا ستشهد عليك.. وأُذنًا ستشهد عليك.. ويدًا ستشهد عليك.. ورِجْلاً ستشهد عليك.. وهي أعضاؤك وجوارحك.. فإنك إن استطعت أن تستتر وتختبئ.. فتختبئ من أعضائك.. وتتوارى منها فافعل فإن لم تقدر فاترك المعصية خوفًا من ذي الجلال جل جلاله.

يا من يعاني من مأساة العادة السرية.. اختبئ من الله فلا يراك عليها.. فإن نسيت نظر الله وغلبتك شهوتك.. فأعمت عين بصيرتك.. فيدك التي تعصي اختبئ منها.. إذا تحركت يدك تذكر.. أن هذه اليد ستشهد عليك أمام الله.

يا من يؤذي الناس بلسانه.. تذكر أن الله سميع.. يسمعك وسيحاسبك.. فإن نسيت الله.. فتذكر جوارحك التي ستشهد عليك.. سيشهد عليك لسانك وأذنك.

هنا إذا كملت عظمة الله في القلب منعته من المعصية.. إنك تريد أن يوقرك الناس.. وأنت لا توقر الله.. كيف ذلك؟!.. قال تعالى: ﴿**مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾ [نوح: ١٣] أي: لا تعاملونه معاملة من توقرونه.. والتوقير: التعظيم.. ومنه قوله تعالى: ﴿**وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ**﴾ [الفتح: ٩].

قال الحسن في تفسير قوله: ﴿**مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾ [نوح: ١٣]: أي: ما لكم لا تعرفون لله حقًّا ولا تشكرونه.

قال مجاهد : لا تبالون عظمة ربكم .

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : لا ترون لله طاعة.

قال عبد الله بن عباس : أي : لا تعرفون عظمة الله .

هذه المعاني ترجع كلها إلى معنى واحد..أنهم لو عظموا الله وعرفوه.. أطاعوه وشكروه.. ولم يعصوه.. فطاعته سبحانه.. واجتناب معاصيه.. والحياء منه.. بحسب وقاره في القلب.

ما هي علامات توقير الله؟

من علامات توقير الله تعالى :

١ ـ ألا تذكر اسمه مع المحقرات :

قال بعض السلف : ليعظم وقار الله في قلب أحدكم أن يذكره عند ما يُسْتَحيي من ذكره . . فانظر إلى مدى توقير السلف لربهم . . كانوا يستنزهون أن يوضع اسم الله بجوار ما يستقبح ذكره . . فيقرن اسمه به . . كأن يقول الرجل : قبح الله الكلب والخنزير . . فيوقرون الله أن يوضع اسمه مع هذه الحيوانات .

٢ ـ ألا تنسب الشر إليه :

إن من عقيدتنا أن الخير والشر من الله . . لكننا لا ننسب الشر إلى الله . تأدبًا قال ﷺ : « **لبيك وسعديك الخير كله في يديك.. والشر ليس إليك** »[١] . . وقال إبراهيم عليه السلام : ﴿**وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾ [الشعراء: ٧٩، ٨٠] . . فلم يقل : وإذا أمرضني . . وإنما نسب الشر إلى نفسه تأدبًا مع الله .

قال مؤمنو الجن : ﴿**وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا**﴾ [الجن: ١٠] . . فعند الرشد ذكروا ربهم . . وعند الشر بنوا الفعل للمجهول .

---

(١) « صحيح مسلم » كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦/ ٨٤) حديث رقم (٢٠١) .

لكن أهل عصرنا على العكس تجد الرجل منهم يقول: يا كاسر كل سليم يارب.. ومن الذي يجبر كل مكسور؟!.. فينسب الشر إلى الله.

تجد من يقول : الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه.. تذكر الله بالمكروه.. إنه ينبغي من وقاره أن لا تنسب الشر إليه.. وإن كان الخير والشر منه سبحانه جل وعلا.

٣ ـ من وقاره : أن لا تعدل به شيئًا من خلقه لا في اللفظ ولا في الفعل:

فلا تقل : ما شاء الله وشئت.. لما قالها رجل لرسول الله ﷺ : « **أجعلتني للّه ندًا** »[١] .

٤ـ من توقير اللّه: ألا تشرك مع اللّه شيئًا في الحب والتعظيم والإجلال:

قال تعالى : ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ١٦٥].. سمَّاهم مشركين.. كما في الطاعة.. فتطيع المخلوق في أمره ونهيه كما تطيع الله.. لا.. وإنما طاعة الله مطلقة في كل شيء.. وطاعة المخلوق مقيدة بالمعروف فالأب والأم والزوج والزوجة ومديرك في العمل. العرف والتقاليد والمجتمع.. طاعة كل هؤلاء مقيدة بقول النبي : «**إنما الطاعة في المعروف** »[٢] .. و« **لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق** »[٣]

---

(١) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٧٨٧) والإمام أحمد في « المسند » (١/ ٢١٤ ـ ٢٢٤ ـ ٢٨٣) ، وابن ماجه (٢١١٧) وصححه الشيخ الألباني ـ حفظه الله ـ في « السلسلة الصحيحة» برقم (١٣٩) .

(٢) البخاري كتاب الأحكام . باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية حديث (٧١٤٥) .

(٣) « مسند الإمام أحمد والبزار قال الحافظ ابن حجر وسنده قوي .
راجع « فتح الباري » (١٣/ ١٣٢)

فلا تجعل طاعتك لشيء كطاعة الله. مهما كلَّفك ذلك.

٥ ـ من توقيره ـ جل وعلا ـ : ألا تجعل له الفَضْلة :

إن آفة أهل عصرنا حتى الملتزمين أنهم يعطون الله الفضلة : إذا بقي وقت يقيم الليل.. يجعل لله الفضلة.. وإلا تركه.. إذا بقي عنده وقت للأذكار قالها.. وإلا غفل عنها.. وهكذا.

وقد قال تعالى : ﴿**وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ**﴾ [البقرة: ٢٦٧].

هذا ليس من توقير الله.. بل من توقير الله أن تقتطع له من أعز الأوقات وقتًا.. ومن أعز الأموال مالاً.

فينبغي أن لا تجعل لله الفضلة في الوقت.. ولا في الجهد.. ولا في الصحة.. ولا في المال.. ولا في الكلام والذكر.. فما الذي يشغلك؟!.. أهي الدنيا؟!.. والله ما خلقت لها.. ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦].. وقد يندهش بعض الناس حين نقول : ينبغي أن تكثر من الذكر والصلاة على النبي ﷺ والتنفل.. فيقول : أين الوقت الذي يَسَعُ كل هذا؟!.. وهل خلقت لغير هذا؟!.. ثم إن البركة من الله.. اللهم بارك لنا في أوقاتنا يا رب.. والإعانة والتوفيق من الله.. إذا ظننت أنك تقوم بحولك وقوتك.. فأنت فاشل مخدوع.. أما إذا اعتقدت أنك تستعين بالقوي المتين.. فإنه يعينك ويقيمك ويبارك لك. اللهم أَعِنَّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

٦ ـ من التوقير : ألا تقدم حق المخلوق على حق اللَّه:

قال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ [الحجرات: ١]. . أي : لا تقدم أمرًا بين يدي أمر الله ورسوله ﷺ. . ولا حبًّا بين يدي حب الله ورسوله ﷺ. . لا تجعل أمام الله أحدًا. . بل أول شيء هو الله .

قرأت استطلاعًا للرأي أو شيئًا من هذا. . على طلبة إحدى الجامعات أنهم أجروا استطلاعًا للرأي عن المثل الأعلى والقدوة وأهم المحبوبات فوجدوا الترتيب :

١ ـ الفنانين ٢ ـ لاعبي الكرة

٣ ـ المشاهير من الإعلاميين ٤ ـ الله ورسوله

ربنا رقم (٤) أين التوقير؟!!!. . أن تجعل الله ورسوله قبل كل شيء. . طاعته. . حبه. . خوفه. . رجاءه. . التوكل عليه. . الإنابة إليه.

٧ ـ من توقير اللَّه: ألا يكون اللَّه ورسوله في حد وناحية والناس في حد وناحية فتكون في الحد الذي فيه الناس:

قال تعالى : ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ [النساء: ١١٥]. . وقال تعالى : ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: ٦٣]. . ومعنى ﴿**يُحَادِدِ**﴾ أي: أن يكون اللَّه ورسوله في حد. . والمخلوق في حد آخر. . فكن مع اللَّه يكن معك. . بل كن في الحد والناحية التي فيها الله ورسوله ﷺ. . وإن كنت وحدك .

٨ ـ من توقير اللَّه : أن تعطي اللَّه في خدمته بدنك وجسمك وقلبك وروحك:

فأما حالنا فيندى له الجبين خجلاً ، فإذا كلَّمك أحد الناس. . انتبهت إليه بكل جوارحك. . وإذا وقفت بين يدي الله وقفت بجسدك فقط. . فعقلك وقلبك في شغل عنه. . وتأمل ذلك في الصلاة في نفسك وفي غيرك.

٩ ـ من توقير اللَّه : أن لا تجعل مراد نفسك مقدمًا على مراد ربك :

ما لم توقر الله سقطتَ من عين الله. . فلا يجعل الله في قلوب الناس لك وقارًا ولا هيبة. . بل يسقط وقارك وهيبتك من قلوبهم. . وإن وقَّرُوكَ مخافة شَرِّك. . فذاك وقار بُغْضٍ. . لا وقار حب وتعظيم.

١٠ ـ من وقار اللَّه : أن تستحيي من أن يطلع اللَّه على ما في سرك وضميرك فيرى منك ما يكره :

فإذا اطلع اللَّه على ما في قلبك. . لا يجد إلا الغرور والعجب. . وحب الدنيا وحب المعاصي. . واستثقال الطاعات. . أفلا تستحيي من الله. . أخرج هذا من قلبك حتى لا يراه الله في قلبك.

المصيبة أن يستحيي العبد من الناس ولا يستحيي من الله. . قال تعالى: ﴿ **وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ** ﴾ [الأحزاب: ٣٧] وقال تعالى : ﴿ **يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ** ﴾ [النساء: ١٠٨]. .

يرى من يُوقِّرُه فيلقي السيجارة من يده. . وينسى أن الله يراه. . يرى من يوقره فيتوارى. . ويواجه الله بالمعصية بلا حياء .

١١ ـ من وقاره : أن يستحيي منه في الخلوة أعظم مما يستحيي من أكابر الناس.

١٢ ـ ومن وقاره : أن يكون الهم الأول هو طلب رضا اللَّه :

أخي في اللَّه .. أريد منك أن تمسك ورقةً وقلمًا. . وتبدأ في كتابة همومك الشاغلة. . وتضعها مرتبة حسب الأولويات. . وأنا أقصد الهم الذي يشغل بالك. . وتجري وتتحرك في نطاق هذا الهم.

أريدك أن تصدق مع اللَّه . . لأنه من السهل أن تكتب أنك تحمل هم الإسلام .

أريد أن تنفرد بنفسك . . وتتقي اللَّه عز وجل. . وتنظر فعلاً. . ما الذي يهمك؟

هل ستجد ما يهمك هو هَمّ الإسلام. . هَمّ العقيدة. . هَمّ الدين. . أو أننا سنفاجأ بأن الهموم تشعبت. . هَمّ الوظيفة. . الزواج. . طلب الرزق. . التعليم. .

لا شك أن هم الإسلام سيأتي. . ولكن في المرتبة الرابعة. . الخامسة. . هكذا إذا كنا صادقين

وهذا نتيجة عدم توقير اللَّه في قلبك.

المطلوب أن يكون طلب رضى اللَّه هو الهم الأول والأوسط والأخير.

يعني أن يكون الهم كله.. في كل مناحي الحياة.. طلب رضي الملك جل جلاله.

ومن جعل الهموم همًّا واحدًا كفاه اللَّه همه.

فهذا أول ما يصح به مطالعتك لجنايتك.. بتعظيم الحق وتوقيره.. فإذا عرفت الله حق معرفته.. بأسمائه وصفاته.. عرفت الله حق معرفته.. بتوحيد ألوهيته وتوحيد ربوبيته.. فإنه حين ذاك يعظم الله في قلبك.. ويقع وقارُه في قلبك.. فإذا وَقَّرت الله بقلبك.. عظمت عندك مخالفته.. لأنَّ مخالفة العظيم ليست كمخالفة من دونه.. قال الله تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: ٩١].. وقال ـ جل وعلا ـ: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [الزمر: ٦٧].. قال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحج: ٧٤].

بعد أن تحدَّاهم ربنا جـل جلالـه في قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**﴾ [الحج: ٧٣].. نعم إنك حين تقدر الله قدره.. تعرف أنه أنزل الكتب.. وأرسل الرسل.. وشرع الشرائع.. وخلق الجنة والنار.. أمر أوامر ونهى عن نواهٍ.. وألزم عباده أشياء.. حاكم بالعدل.. قائم بالقسط.. جل جلاله.

حين تقدر الله حق قدره.. تعرف أنه ما من دابة في الأرض ولا في

السماء إلا والله خلقها وعليه رزقها.. ويعلم مستقرها ومستودعها.. فبه سبحانه وبإعانته وبإحيائه لها تعيش.. أي دابة صغرت أم كبرت على ظهر الأرض أو في السماء.. سبحانه قائم على كل نفس بما كسبت.. جل جلاله.. قيوم السموات والأرض.. به يقوم كل شيء.. ولا يحتاج إلى شيء.. فهو العزيز.. وهو الغني.. حين تعرف الله وتقدره حق قدره.. تعلم أن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا.. فبه بقاؤهما وبه دورانهما.. وبه حياة ما فيهما.. والمَرَدُّ إليه جل جلاله.. فهو الأول والآخر.. ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** ﴿٢٦﴾ **وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].. إذا كملت عظمة الحق في قلبك.. فإنك تستحيي.. وتخاف أن تعصيه وهو يراك.

فمطالعة الجناية : بكمال عظمة الله في قلبك.. أن تعرف عظمة من عصيت.. فتعظم المعصية.. فمن كملت عظمة الحق تعالى في قلبه.. عظمت عنده مخالفته.

ونضرب لذلك مثالاً : عن أنس بن مالك قال : مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر.. فقال لها : « **اتقي الله واصبري** ».. فقالت : إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي.. ولم تعرفه.. فقيل لها : إنه النبي ﷺ فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بَوَّابين.. فقالت : لم أعرفك.. فقال : « **إنما الصبر عند الصدمة الأولى** »[١] .

---

(١) البخاري كتاب الجنائز.. في أكثر من موضع .

الشاهد : أنها لم تكن تعرف النبي ﷺ.. فجهلت عليه.. قالت : إليك عني إنك لم تُصَبْ بمصيبتي.. فلما قيل لها : إنه النبي ﷺ.. عَلِمَتْ أنها أخطأت. فالذي يجهل عظمة الله ـ ولله المثل الأعلى ـ يجهل عليه.. فإذا عرفت الله عظمت المخالفة عندك.. لذلك المؤمن ينظر إلى ذنبه كأنه في أصل جبل.. يخشى أن يهويَ فوق رأسه..

فاللهم عافِنَا من الذنوب والمعاصي.. رُحْمَاك ربنا فإنك من تقِ السيئات فقد رحمته.. فاجعلنا من المرحومين.. فهذه الأولى تُعَظِّم الجناية بمعرفتك الله.

٢ ـ معرفة النفس: باستقباح ما كنت عليه .

ثانيًا : معرفة النفس ..هكذا دائمًا تقترن معرفة الله بمعرفة النفس.. ليخرج منهما نوعين جليلين من العبودية.. محبة الله.. والإزراء على النفس.

يقول ابن القيم :

لا ينتفع بنعمة الله بالإيمان والعلم إلا من عرف نفسه.. فوقف بها عند حَدِّها.. ولم يتجاوزه إلى ما ليس له.. ولم يتعد طوره.. ولم يقل هذا لي.. وإنما يوقن أنه لله وبالله ومن اللّه ..

كثير من الإخوة تجده يتهم نفسه.. يقول لنفسه : عاصٍ مذنب مقصر.. قلبي أشد من الحجر.. لكنه في الحقيقة معجب بنفسه.. لا يسعى لإصلاحها.. فهذه معرفة لا تفيد.. إنما الذي يعرف نفسه يقف

بنفسه عند قدرها.. ولا يتجاوزه إلى ما ليس له .. لا يتعدى طوره.. هذا هو الذي عرف نفسه.. فتيقن أنه لله ومن الله وبالله.. فالله هو المانُّ به ابتداء وإدامة.. بلا سبب من العبد ولا استحقاق منه.

قال تعالى : ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].. ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١].. ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الإنسان: ١، ٢].. إنك لم تكن شيئًا.. من نطفة أوجدك.. بدون استحقاق منك.. بل مَحْضُ كَرَمٍ وجُودٍ منه سبحانه وتعالى .

انتبه

إذا علم العبد هذا وتيقنه.. فعلم أن الله هو المانُّ به ابتداء وإدامة.. بلا استحقاق من العبد.. وبلا سبب منه.. حينذاك تُذِلُّه نعم الله عليه.. فعندئذ يرى أن الفضل كله لله.. وأنه مَنَّ عليه دون أن يستحق أي نعمة.. فيذل لله .. وكلما زاده الله نعمة ازداد بها ذلاً.. حتى يصير أَذَلَّ النَّاسِ لله.. وهذه أعلى درجة من درجات العبودية.. فَتُذِلُّه نِعَمُ الله عليه.. وتكسره كَسْرَةَ من لا يرى لنفسه ولا فيها ولا منها خيرًا الْبَتَةَ.. فلا يرى فيها خيرًا أبدًا.. وأن الخير الذي وصل إليه فهو لله وبالله ومن الله .

وهذا نتيجة علمين شريفين : علمه بربه.. وعلمه بنفسه..

علمه بربه.. وبِرِّه وغِنَاه.. وجوده وإحسانه ورحمته.. وأن الخير كله

في يده.. وهو ملكه يؤتي منه من يشاء ما يشاء.. ويمنع منه من يشاء ما يشاء..

ثم علمه بنفسه.. ووقوفه على حدِّها وقدرها.. ونقصها وظلمها.. فالعبد دائم التذكر لهذين الأمرين.. لا ينسب لنفسه فضلاً قط.. إذا قرأ القرآن فمن الله.. إذا صام النهار فمحض فضل الله.. يعني توفيق وإعانة وقبول.. إذا قام الليل فبتوفيق الله.. وانظر لعله هناك من هو أعقل منك ولم يهده الله فلم يهتد.. فاحمد الله.. قال تعالى: **﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾** [الكهف:١٧].

يقول ابن القيم :

فإذا صار هذان العلمان.. ألا وهما : معرفة نفسك ومعرفة ربك صِبْغَةً لها لا صبغة على لسانها .

فكثير منا الكلام على لسانه.. يقول : والله مقصر.. مذنب.. عاصي.. ادع الله أن يهديني.. أنا أريد أن أتعلم.. أن أقوم الليل.. هذه صبغة اللسان.. أما صبغة القلب فَعِلْمُه بنفسه وعِلْمُه بربه.. **فإذا صار هذان العلمان صبغة لها لا صبغة على لسانها.. عَلِمْتَ حينذاك أن الحمد كله للَّه.. والأمر كله للَّه.. والخير كله للَّه .. وأنه هو المستحق للحمد والثناء دونها ـ دون نفسه ـ ..**

وأن نفسه هي أولى بالذم والعيب واللوم.. ومن فاته التحقق بهذين العلمين تلونت به أقواله وأعماله. فإيصال العبد إلى الله بتحقيق هاتين المعرفتين علمًا

وعملاً . . وانقطاع العبد عن الله بفوات هذين العلمين علمًا وعملاً . . وهذا معنى قولهم: من عرف نفسه عرف ربه . . فمن عرف نفسه بالجهل عرف الله بالعلم . . ومن عرف نفسه بالظلم عرف الله بالعدل . . ومن عرف نفسه بالعيب عرف ربه بالعز والجمال والكمال . . من عرف نفسه بالنقص عرف ربه بالعطاء والكمال . . ومن عرف نفسه بالحاجة عرف ربه بالغنى . . ومن عرف نفسه بالذل عرف ربه بالعز . . ومن عرف نفسه بالفقر عرف ربه بالغنى . . ومن عرف نفسه بالمسكنة عرف ربه بالقوة والملك . . ومن عرف نفسه بالعدم عرف ربه بالجبروت.

هكذا تعرف نفسك وتعرف ربك . . فإذا عرف نفسه وعرف ربه كان اللهُ أحبَّ شيء إليه . . وأخوف شيء عنده . . وأرجاه له . . وهذه هي حقيقة العبودية.

يقول ابن الجوزي :

" **واللّه لقد بكيت الليلة مما جنيته على نفسي بيد نفسي** " نعوذ بالله من أنفسنا . . واهًا لك يا نفس . . النفس وما أدراك ما النفس . . أمّارة بالسوء . . ظلومة جهولة . . الإنسان وهذه نفسه إذا مسه الشر جزوعًا . . وإذا مسه الخير منوعًا.

الإنسان . . ﴿**وَكَانَ الإنسَانُ عَجُولاً**﴾ [الإسراء: ١١] . . ﴿**وَكَانَ الإنسَانُ قَتُورًا**﴾ [الإسراء: ١٠٠] . . ﴿**وَكَانَ الإنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً**﴾ [الكهف: ٥٤] . . هذه نفسك . . جهول قتور . . حين ترى نفسك هكذا لا تعينك على عمل صالح

أبدًا.. تميل إلى البطالة والكسل.. تميل مع الهوى وطول الأمل.. ترجو الدنيا وتنسى الآخرة.. هذه نفوسنا والله.. إذا عملنا بعد أن جاهدنا تستأثر نفوسنا بأعمالنا فنعملها رياءً وسمعة.. نعوذ بك اللهم من شرور أنفسنا.. فإذا عرفت نفسك أنها الحاملة على كل ذنب.. وأنها الدافعة إلى كل معصية.. وأنها المعينة على كل مخزية.. وأنها القائد إلى كل بلية.. وأنها المانع من كل خير وعطية.. استعذت باللّه من شرها.. وعرفت أن الخير بيد اللّه.. يؤتيه من يشاء.. وهو العزيز الحكيم.

نفسك إذا عرفتها.. عرفت نفسك وعرفت الله.. عظمت المخالفة عندك.. نفسك انفرد بها لتوبخها.

يقول ابن القيم :

وأسفاه من حياة على غرور.. وموت على غفلة.. ومنقلب إلى حسرة.. ووقوف يوم الحساب بلا حجـة.. وأسفاه واحسرتاه.. من حياة على غرور.. وموت على غفلة ومنقلب إلى حسرة .. ووقوف يوم الحساب بلا حجة..

٣ ـ تصديق الوعيد :

أخي التائب :

* مثل نفسك في زاوية من زوايا جهنم ـ اللهم قنا عذاب جهنم ـ وأنت تبكي أبدًا .. أبوابها مغلقة.. وسقوفها مطبقة.. وهي سوداء مظلمة.. لا رفيق يستأنس به.. ولا صديق تشكو إليه.. لا نوم يريح.. ولا نَفَس.. ولا موت يقضي على العذاب..

* قال كعب : **واللَّه إن أهل النار يأكلون أيديهم إلى المناكب من الندامة .**

* قال الله تعالى : **﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾** [الفرقان: ٢٧]. . يعني من الندامة على تفريطهم وما يشعرون بذلك .

* يا مطرودًا عن الباب . . يا مضروبًا بسوط الحجاب . . لو وَفَّيت بعهودنا ما رميناك بصدودنا . . لو كاتبتنا بدموع الأسف لعفونا لك عن كل ما سلف .

* انظر إلى وعيد ربك . . توعد الله أعظم الوعيد لمن رضي بالحياة واطمئن بها . . وغفل عن آياته . . ولم يرجُ لقاءه .

فقال الله ـ جل جلاله ـ : **﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۝٧ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [يونس: ٧، ٨]. .

في اليقين من الوعيد :

يقول ابن القيم :

" **ومدار السعادة وقطب رحاها على التصديق بالوعيد.. فإذا تعطل من قلبه التصديق بالوعيد خَرُب خرابًا لا يُرجى معه فلاحٌ البتة** ".. اللهم أعمر قلوبنا باليقين يا رب .

اليقين إذا عمر به القلب وامتلأ به . . استنار القلب فيرى ويبصر . . وبذلك يعيش .

إن أشد ما يعانيه أهلُ عصرنا عمى القلب ـ أي والله ـ . . إن أحدنا إذا ضعف بصره شيئًا . . حزن حزنًا شديدًا . . ويهرع لمن يصنع له نظارة . .

تُكَمِّل ما افتقد من بصره. . وأكثرنا إلا من رحم الله قد عميَ قلبُه وهو لا يعلم. . فلا يعمل على أن يعيد بصيرة قلبه. . اللهم ارزقنا بصيرة في قلوبنا يا رب.

المقصود ـ **أيها الإخوة** ـ. . أن معنى التصديق بالوعيد حصول اليقين. . أن يصير هناك يقين في القلب. . فإذا خلا القلب من التصديق بالوعيد. . خرب خرابًا لا يُرجى معه فلاحٌ البتة.

* إن الآيات والنذر تنفع من صَدَّق بالوعيد. . وخاف عذاب الآخرة. . هؤلاء هم المصدقون بالإنذار. . المنتفعون بالآيات دون من عداهم.

* قال تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ** ﴾ [هود: ١٠٣].

* وقال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا** ﴾ [النازعات: ٤٥].

* وقال تعالى: ﴿ **فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ** ﴾ [ق: ٤٥].

فأخبر ـ سبحانه ـ أن أهل النجاة في الدنيا والآخرة. . هم المصدقون بالوعيد الخائفون . . كما أنهم المُمكَّنون في الأرض.

* قال تعالى : ﴿ **وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ** ﴾ [إبراهيم: ١٤] .

فإن الله تَهَدَّد وتوعَّد ﴿ **مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ** ﴾ [النساء: ١٢٣]. . وإن هذه الثلاثة تثمر الندم على ما فات.

(١) معرفة الرب . (٢) معرفة النفس . (٣) تصديق الوعيد.

رابعًا : العزم على عدم العودة:

إن كثيرًا من الناس يتوب ويقول : إنني أعلم أنني سأعود. . لا تقل مثله. . ولكن قل: إن شاء الله لن أعود تحقيقًا لا تعليقًا. . واستعن بالله واعزم على عدم العودة. . بعض الناس يفُتُّ الشيطان في عضده. . ويُوَهِّن له نفسه. . يُخَذِّله. . ويقول له. . إنك لن تستطيع. . فيقول : لا ضير في أن أتوب ثم أعود. . إن هذا الخاطر لا ينبغي أن يرد على خاطرك أصلاً. . وإنما تب وأنت تعزم يقينًا أنك لن تعود.

خامسًا : خلع العادات[1] :

عندما تتوب إلى الله فإن العادات التي كنت عليها حال جاهليتك مثل خيط المطاط. . فإنه قد يذهب معك. . ولكنك مازلت مشدودًا إليه. . فإذا وقفت ولو للحظة جذبك. . فعدت مرة أخرى. . اخلع مسمار العادة من قلبك. . إنك عندما تريد نزع مسمار من جدار. . فإنك تبدأ في زعزعة المسمار ثم بعدها تنزعه بسهولة. . فما عليك إلا أن تزعزع مسمار العادات في قلبك. . فإذا كانت لديك عادة النوم الكثير تنام عشر ساعات يوميًا . . فابدأ بزعزعة هذه العادة. . وإذا كانت عندك عادة الأكل الكثير. . فخفف من ذلك . . إذا كنت قد اعتدت الخروج من المنزل كثيرًا. . فاربط نفسك في المنزل . . واستأنس بربك. . وحاول أن تجد قلبك في الخلوة.

هذه العادات هي العدو اللدود للعبادات. . لأن هذه العادات تربطك. . فكيف تخلع العادات؟! وبيان ذلك :

(١) سيصدر قريبًا في رسالة بعنوان « التخلص من رواسب الجاهلية » إن شاء الله تعالى وقدَّر.

كيف تخلع العادات؟!

كلما كان تعلقك بالمطلب الأعلى أقوى.. كان انخلاعك من العادات أتم..

إنك مرتبط بعادات أرضية.. فترى أن تسمو عن الأرض إلى سماء الطاعة.. انظر إلى تقنية الصواريخ.. فإنهم يأتون بقوة دفع لتخلعه من الجاذبية الأرضية.. وساعة أن تنفصل عن الجاذبية الأرضية.. فإن الصاروخ يسبح في الفضاء الخارجي.. وهذا بالضبط ما تحتاجه أنت.. إنك تحتاج إلى قوة دافعة كبيرة في البداية.. وبعدها تسبح في سماء الطاعة..

قال أحد السلف : **عالجت قيام الليل سنة ثم تمتعت به عشرين سنة.**

وقال آخر : **ما زلت أسوق نفسي إلى الله وهي تبكي.. حتى انقادت إليه وهي تضحك** .

اصبر وستنتصر.. فإن النصر مع الصبر..

سادسًا : العلم بطرق الصبر عن المعصية :

يقول ابن القيم في كتاب " طريق الهجرتين " (ص٣٨١):

إن الصبر عن المعصية ينشأ عن أسباب عدة :

١ ـ علم العبد بقبح المعصية ودناءتها :

فإذا علم العبد بقبح المعصية ودناءتها.. وأن الله إنما حرَّمها صيانة

للعبد عن الدنايا والرذائل فيتصبر عنها.. فأول شيء يجب معرفته أن المعاصي قبيحة.. فشرب السيجارة قبيح.. والنظر إلى النساء المتبرجات قبيح.. وشرب الخمر قبيح.. والزنا قبيح.. إلى آخره.. فعندما تعلم بقبحها تتصبر عن مواقعتها.. قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** ﴾ [الأعراف: ٣٣] فهي فواحش قبل التحريم وبعده.. والشارع كساها بنهيه عنها قبحًا إلى قبحها.. فكان قبحها من ذاتها.. وازدادت قبحًا عند العاقل بنهي الرب تعالى عنها.. وذمه لها.. وإخباره ببغضها وبغض فاعلها.

فيعلم أن الله تعالى ما نهى إلا عن أمر قبيح بالذات..

فيترك المعصية لقبحها ولدناءتها.. حفظًا لنفسه وصيانة..

٢ ـ الحياء من اللّه :

فإن العبد متى علم بنظر الله إليه.. وأنه بمرأى من الله ومسمع.. وكان العبد حييًّا.. يستحيي من ربه أن يراه وهو مقيم على المعاصي.. وهذا يستلزم أن تنفتح في قلبك عين ترى بها أنك قائم بين يدي الله.. ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ** ﴾ [الرحمن: ٤٦].. فترزق عند ذلك دوام المراقبة للرقيب.

٣ ـ مراعاة نعمة اللّه :

بأن تراعي نعمة الله عليك وإحسانه إليك.. فترى أن الله يعطيك من نعمه وأنت تعصاه.. أهذا فعل الكرماء ؟!.. إن ابنك الذي أحسنت إليه إذا عصاك تغضب عليه.. فكذلك ينبغي أن تكون مراعاة نعم الله عليك.. أليس

هو الذي خلقك ورزقك وسترك.. وأعطاك ومكنك وأعانك؟!.. ثم بعد ذلك تعصاه!!.. فكيف تكون؟!.. وقد قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١].. وقال: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [الأنفال: ٥٣].. وأعظم النعم هي الإيمان.. والذنوب تزيل النعم وتسلبها.

قال بعض الصالحين: **أذنبت ذنبًا فحرمت قيام الليل سنة..**

فهنا تعلم أنك إذا لم تراعِ نعم اللَّه عليك سيزيلها عنك..

وقال بعضهم: **أذنبت ذنبًا فحرمت فهم القرآن.**

وقال آخر: **أذنبت ذنبًا فمنذ أربع سنين وأنا إلى خلف.. لأنه أذنب ذنبًا.. فراعِ نعم اللَّه عليك.. واعلم أن أعظم النعم نعمة الإيمان.. قال تعالى: ﴿بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** [الحجرات: ١١].

٤ ـ الخوف من اللَّه:

العبد يُقْرَع بالعصا والحر تكفيه الإشارة.. فإذا لم تستحِ من الله فخف منه.. أن يخسف بك الأرض.. أن ينتقم منك.. خف أن يفضحَك.. خف من عقابه.. فكفى بخشية الله علمًا.. وكفى بالاغترار به جهلاً..

٥ ـ محبة اللَّه:

إن الله لو أحبك لعصمك.. كما قيل: هانوا عليه فعصوه.. ولو عزوا عليه لعصمهم.. فهل إذا أحببت أحدًا تعصاه؟!.. قالوا: إن المحب لمن يحب مطيع.. إنما أنت تعصاه.. لأنك تحب المعاصي أكثر منه..

وكفى بذلك خِذلانًا.. أتحب امرأة ولا تحب الله؟!.. أتحب درهمًا أو دينارًا ولا تحب الله؟!..

إن محبة الله من أقوى الأسباب للصبر عن المعاصي.. وكلما قوي سلطانُ المحبة في القلب.. كان اقتضاؤه للطاعة أتم.. وقدرته على ترك المخالفة أقوى.. ارجع إلى كلمات ابن القيم في " مدارج السالكين " في حديثه عن منزلة المحبة وحب الله.. هنا على طريقة السلف لا على طريقة مجانين الصوفية.. مما يسمونه عشقًا.. فهؤلاء ضلاّل جُهّال.. إن حب الله لابد أن يكون بعلم.. فإن المعصية والمخالفة تصدر من ضعف المحبة.

وفرق بين من يحمله على ترك المعصية الخوف من السوط.. وبين من يترك المعاصي لأنه يحب الله.. ونحن نعبد الله حبًّا له وخوفًا من ناره رجاء كرمه أن يرزقنا جنته (الثلاثة جميعًا).

٦ ـ شرف النفس وزكاؤها وفضلها وأنفتها وحميتها :

فلا تفعل المعاصي.. لأن المعاصي تضع من قدرها.. وتحط من منزلتها.. وتَحقِرها وتُسَوِّي بينها وبين السفلة.. فانظر إلى المعاصي من يقترفها؟.. صاحب النفس الأبية أم السفلة والرعاع؟!..

إن أصحاب النفوس الأبية يقولون :

وإذا وقع الذباب على طعام رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتأبى الأسود ورود ماء إذا كان الكلاب يَلُغْنَ فيه

فتنبه نفسك إلى ذلك.. قل لها : يا نفس من يقع في المحظورات

والمخالفات إلا كل مهين حقير؟ . . يا نفس من يكون عبدًا للمعاصي إلا من لا يصلح أن يكون عبدًا لله؟!. .

٧ ـ قوة العلم بسوء عاقبة المعصية

وعواقب المعاصي وخيمة. . وآثارها السيئة على القلب وعلى الجسد. . وعلى العالم أجمع. . لا تحصى فمنها :

سواد الوجه. . وظلمة القلب. . وضيقه وغمه. . وانحصاره وشدة قلقه. . وحزنه وألمه. . وتمزق شمله. . وضعفه عن مقاومة عدوه. . تعريه من زينة التقوى بالثوب الذي جَمَّله الله وزينه به. . العصرة التي تنال القلب من المعصية. . القسوة والحيرة في أمره. . تخلي الله عن العاصي. . تولي العدو للعاصي. . تواري العلم الذي كان حاصلاً. . مرض القلب. . ذُلُّه بعد عزه. .

ومن عقوبات المعصية :

أن يصير أسيرًا في يد أعدائه. . يضعف تأثيره فلا ينفذ أمره. . ومنها زوال أمنه وتبدله مخافة. . فأخوف الناس أكثرهم إساءة. .

ومن عقوبات المعاصي :

زوال الأنس واستبدال الوحشة به. . فكلما ازداد إساءة ازداد وحشة. . فتقع للعاصي وحشة بينه وبين أصدقائه وأصحابه. . ثم بينه وبين أهله. . ثم لا يلبث أن تقع الوحشة بينه وبين نفسه. . فيصير مهمومًا. . محزونًا. . ولا يعرف لذلك سببًا إلا ذنوبه. .

ثم تقع الوحشة بينه وبين الله.. وتلك أكبر العقوبات.. فيحاول أن يرفع يده ليدعو ربه.. فلا يستطيع.. يحاول أن يتذكر دعاء لكشف كرباته فلا يذكر..

تلك الوحشة بين العبد وبين الله هي أكبر وأخطر أنواع الوحشة.. وهي من عقوبات المعاصي.. فإذا كنت قد أوحشتك الذنوب.. فخل النفس عنها واستأنس.. تُبْ إلى الله فيبدل وحشتك أُنسًا .. وكفى بالقرب من الله أنسًا.. نعم إن الإنسان ـ والله ـ إن لم يجد طعامًا ولا شرابًا ولا زوجة ولا أولادًا ولا.. ولا.. إلخ.. وكان قلبه مليئًا بحب الله.. مستلذًا بطاعته.. لاستغنى عن كل من في الكون سوى الله..

ومنها : زوال الرضا واستبدال السخط به.

ومنها : زوال الطمأنينة والسكون إلى اللّه والإيواء عنده.. فيطرد عن الله ويبعد عنه.

ومنها : وقوع العبد في بئر الحسرات :

فلا يزال في حسرة دائمة.. كلما نال لذةً نازعته نفسه إلى نظائرها.. وإن لم يقضِ منها وطرًا.. وإن قضاها نازعته نفسه إلى غيرها.. كمن تكون له زوجة ولا تسكن نفسه عن الوقوع في النظر المحرم.. فيتزوج الثانية ولا يرتدع.. بل تظل نفسه تنازعه وهكذا.. فيظل في بئر الحسرات.. فيجد أنه كلما انقضى وطره من لذة.. عجز عن أضعاف أضعاف ما يقدر عليه.. وكلما اشتد نزوعه.. وعرف عجزه.. اشتدت حسرته وحزنه.. فيالها من

عقوبة . . يا لها من نار . . نار في الدنيا قبل الآخرة . . قد عذب بها القلب في هذه الدار . . قبل نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة .

ومنها : فقره بعد غناه : فإنه كان غنيًّا بالإيمان . . فلما عصى افتقر .

ومنها : نقصان رزقه : « **إن العبد يحرم الرزق بالذنب يصيبه** » .

ومنها : ضعف بدنه .

ومنها : زوال المهابة والحلاوة التي اكتسبها بالطاعة . . تتبدل حقارة ومهانة في قلوب المؤمنين . . وهو لا يشعر .

ومنها : ضياع أعز الأشياء عليه وأنفسها وأغلاها . . وهو العمر .

ومنها : طمع عدوه فيه وظفره به . . فإن الشيطان إذا رآه منقادًا مستجيبًا . . اشتد طمعه فيه . . وحدث نفسه بالظفر به . . وجعله من حزبه . . حتى يصير الشيطان مولاه من دون الله .

ومنها : الطبع على قلبه : فإن العبد إذا أذنب ذنبًا نكت في قلبه نكتة سوداء . . حتى يسود القلب كله . . فإن تاب صقل قلبه . . وذلك هو الران . . ﴿ **كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [المطففين: ١٤].

ومنها : الحرمان من حلاوة الطاعة : فإذا فعل الطاعة لم يجد حلاوتها . . فإن الطاعة تثمر اللذة بشرط التوبة . . سئل بعض السلف : هل يجد العاصي لذة الطاعة؟ قال : لا والله ولا مَنْ هَمَّ .

ومنها : أن المعاصي تمنع قلبه من ترحله إلى الآخرة . . فإن القلب لا

يزال مشتتًا.. مضيعًا.. حتى يرحل من الدنيا وينزل بالآخرة.. فإذا نزل القلب في الآخرة.. فأقبلت إليه وفود التوفيق والعناية من كل جهة.. أما إذا لم يترحل إلى الآخرة.. فالتعب والعناء والشتات والكسل والبطالة لازمة له لا محالة.

ومنها : إعراض الله عنه : وإذا أعرض الله جهة.. أظلمت أرجاؤها.. ودارت بها النحوس.. فإذا أعرض العبد عن طاعة الله عز وجل.. واشتغل بمعاصيه.. أعرض الله عنه.. وإذا أعرض الله عنه.. أعرضت الملائكة عنه.. فَحُرِم التوفيق والإعانة وخُذِل.. كما أنه إذا أقبل على الله أقبل الله عليه ﴿**إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا**﴾ ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا**﴾.

ومنها : أن الذنب يستدعي ذنبًا آخر.. ثم يقوي أحدهما الآخر.. فيستدعيان ذنبًا ثالثًا.. ثم رابعًا.. وهكذا حتى يستحكم الهلاك.

ومنها : علمه بفوات ما هو أحب إليه وخير له من جنسها (يعني من جنس المعصية) وغير جنسها.. فإن الله لا يجمع للعبد أيضًا لذة المحرمات ولذة الطاعات.. فالمؤمن لا يُذْهب طيباته في الدنيا.. لذلك يخاطب الكافرون يوم القيامة فيقال: ﴿**أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا**﴾ [الأحقاف: ٢٠]..

ومنها: علمه بأن أعماله هي زاده ووسيلته إلى دار إقامته.. فإن تزود

من معصية الله أوصله ذلك الزاد إلى دار العصاة والجناة.. وإن تزود من طاعته وصل إلى دار أهل طاعته وولايته.

ومنها: علمه بأن عمله سيكون في قبره جليسُه.. فإذا عمل السيئات.. فجليسه أسود منتن مخيف.

ومنها: علْمُه بأن أعمال البر تُنْهض العبد وتقوم به.. حتى توصله إلى الله.. ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾ [فاطر: ١٠].

ومنها: أن العاصي قد خرج من حصن الله الحصين.. الذي لا ضيعة على من دخله.. فيخرج بمعصيته حتى يصير نهبًا للصوص وقطاع الطرق.. فما الظن بمن خرج من الحصن الحصين.. لا تدركه فيه آفة.. إلى مكان خَرِب موحش.. مأوى اللصوص وقطاع الطرق.. هل يتركون معه شيئًا؟!..

ومنها: أنه بالمعصية تَعَرَّض لمقت الله فتُمْحَق بركة عمره.. وبركةُ ماله.. وبركةُ صحته.. وبركة أهله.. وبالجملة تمحق بركة العبد..

هذه سبعة وعشرون عقوبة لكي تردعك.. لتترك المعصية وتصبر عنها.. وهذه أمثلة فقط وإلا فالعقوبات على المعاصي لا تنحصر.

وقد مضى الحديث عن سبعة أسباب للصبر عن المعصية.

والسبب الثامن: قصر الأمل وكثرة ذكر الموت.

فتخشى أن يفجأك الموت وأنت على الذنب.. فتسوء خاتمتك وتبوء بالخذلان.

السبب التاسع : مجانبة الفضول في الطعام والشراب. . والملبس والمنام. . والمخالطة والكلام. . والنظر. . فإن قوة الداعي إلى المعاصي تنشأ من هذه الفضلات. .

السبب العاشر : وهو الجامع لهذه الأسباب كلها. . هو ثبات شجرة الإيمان في القلب. . فيكون صبر العبد عن المعاصي بمقدار قوة إيمانه. . فكلما كان إيمانه أقوى. . كان صبره أتم. . وإذا ضعف الإيمان ضعف الصبر. . إذا باشر الإيمان قلبه. . بقيام الله سبحانه وتعالى عليه. . ورؤيته له وتحريمه لما حرمه. . وبغضه ومقته لفاعله. . باشر الإيمان قلبه. . بالثواب والعقاب. . والجنة والنار. . وعندها يمتنع عن المعاصي والذنوب. . فإذا قوي سراج الإيمان في القلب. . أضاءت جهاته كلها به. . أشرق نوره في أرجائه. . وسرئ ذلك النور إلى الأعضاء وانبعث إليها. . فأسرعت إلى الطاعات. . وانكفت عن المعاصي.

هذه أسباب ستة لتوبتك وتثبيت القلب على التوبة. . بقي عنصران : علل التوبة. . وعلامات التوبة الصحيحة.

علل التوبة

رميت يوسف قلبك في جُبِّ الهوى

وجئت على قميص التوبة بدم كذب

فاللّه المستعان على ما تصفون

علـــل التوبـــــة

١ ـ انعدام الإخلاص :

كأن يتوب العبد لضعف داعي المعصية.. وخمود نار الشهوة.. فَصَحِّحْ توبتك بتصحيح إخلاصك.. ومثال ذلك:

أ ـ الخوف على الصحة أو المال.. أو الخوف من الفضيحة.. بأن يقول : إن الله قد سترني حتى الآن.. فأنا لا أضمن أن يسترني بعد ذلك.. فيتوب وهذه من علل التوبة.

ب ـ الإفلاس والعجز وعدم الاستطاعة : لذلك تكلم العلماء في صحة توبة العنين من الزنا.. هل له توبة؟!.. هل لمن أُخْرِس توبة من الكذب؟.. فالجواب : نعم بالإخلاص.

جـ ـ أن يتوب للراحة من الكَدِّ في تحصيل الذنب : إنه يحدث نفسه بأن المعاصي أجهد عليه من الطاعات.. فيتوب لراحة نفسه لا لله.

د ـ أن يتوب لمنافاة المعصية لما يطلبه من العلم والرزق .. فيتوب للحال لا خوفًا من ذي الجلال.

هـ ـ أن يتوب حتى لا يتسلط عليه السفهاء.

و ـ أن يتوب لحفظ جاهه وحرمته ومنصبه ورياسته.. فيكون قد تاب خوفًا من نظر الناس إليه وليس لله .

٢ ـ ضعف العزيمة والتفات القلب إلى الذنب الفينة بعد الفينة :

وتذكر حلاوة المواقعة.. فربما تنفس.. فيكون سبب هياج نفسه للعودة للذنب مرة أخرى.. وهذا من علل التوبة.. لأن المطلوب الندم.. واستقباح الذنب.

٣ ـ الطمأنينة ووثوقه بنفسه حتى كأنه قد أعطي منشورًا بالأمان :

فإياك والعُجْبَ.. وإياك والغرور.. فيجلس يباهي بتوبته.. وكأنه أَمِنَ على الخاتمة على ذلك.

٤ ـ جمود العين واستمرار الغفلة:

دموع العين من رطوبة القلب .. وجمود العين من قسوة القلب.. والتوبة لابد لها من وجل القلب ورقة الإحساس لتحصل المسارعة للتوبة.. وفقدان واحدة من أولئك دليل فقدان الكل.

٥ ـ ألا يستحدث بعد التوبة أعمالاً صالحة لم تكن له قبل التوبة :

قال تعالى : ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا﴾ [الفرقان: ٧٠].. فينبغي أن يكون له مثلاً : قيام ليل إذا لم يكن له قبل التوبة.. إن لم يكن له ورد من القرآن.. فينبغي أن يكون له ورد.. ينبغي أن يحافظ على الأذكار.. إلى آخر ذلك .

علامات التوبة المقبولة

خذ حديث القوم جملة واقنع بالعنوان

أملهم : أقصر من فتر

منازلهم : أقفر من قبر

نومهم : أعز من الوفاء

السهر : عندهم أحلى من رقدة الفجر

أخبارهم : أرق من نسيم السحر

آماقهم : بالدموع الدائمة دامية .

الهموم : على الجوانح جوانح

هذا يعاتب نفسه على التقصير وهذا يتفكر في هول المصير

وهذا يخاف من ناقد بصير

علامات التوبة المقبولة

أولاً: أن يكون بعد التوبة خيرًا مما كان قبلها:

علامة قبول التوبة.. أن تكون بعد التوبة خيرًا مما كنت قبل أن تتوب.. المداومة على الطاعات وفعل الخيرات. فإن التفريط في الطاعات بعد التوبة.. دليل على أنك سوف تنكص على عقبيك.. وأن الله لم يقبل توبتك.. وهذا علامة على أنك ستعود إلى الذنب حتمًا.. وعودتك إلى الذنب علامة على الرد.

ثانيًا: ألا يزال الخوف من العودة إلى الذنب مصاحبًا له:

لا يأمن مكر الله طرفة عين.. فالمؤمن ينظر إلى ذنبه كأنه في أصل جبل.. يخشى أن يهوي فوق رأسه.. والمنافق ينظر إلى ذنبه كأنه ذبابة وقعت على أنفه.. فقال بها هكذا.. قال تعالى: ﴿**أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [النحل: ٤٥ - ٤٧].

وقال تعالى: ﴿**أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا**

يَسْمَعُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٧ - ١٠٠].

وقال تعالى : ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

كمثل أحدهم يذنب.. فتقول له : تُبْ.. فيقول : أنا في كل صباح أقول: « سبحان الله وبحمده » مائة مرة فتغفر لي ذنوبي.. فأصنع طوال النهار ما أريد.. فهذا خاسر.. من كيسه ينفق.. على نفسه يجني.. فلعل الله أن يطبع على قلبه ويأخذه على معصيته فيضيع.. إذا تبت فألزم قلبك الخوف.. ولا تأمن مكر الله .. واحذر أن يفتر خوفك فيكون الرجوع من حيث أتيت .

ثالثًا : انخلاع القلب وتقطعه ندمًا وخوفًا من العقوبة العاجلة والآجلة :

قال الله تعالى : ﴿ لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ [التوبة: ١١٠] .

وقال عز وجل : ﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾ [التوبة: ١١٨].

رابعًا : كسرة خاصة لا تحدث إلا للتائب :

ومن موجبات التوبة الصحيحة أيضًا : كسرةٌ خاصة تحصل للقلب لا

يشبهها شيء.. ولا تكون لغير المذنب.. لا تحصل بجوع.. ولاحُبٍّ مجرد.. وإنما هي أمرٌ وراءَ هذا كله.. تكسرُ القلبَ بين يدي الرب كسرة تامة.. قد أحاطت به من جميع جهاته.. وألقته بين يدي ربِّه طريحًا ذليلاً خاشعًا.

فليس شيء أحبَّ إلى الله من هذه الكسرة.. والخضوع والتذلل.. والإخبات.. والانطراح بين يديه.. والاستسلام له.. فللّه ما أحلى قوله في هذه الحال: « أسألك بعزك وذلي إلا رحمتني.. أسألك بقوّتك وضعفي.. وبغناك عني.. وفقري إليك.. هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك.. عبيدُك سواي كثير.. وليس لي سيِّد سواك.. لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك.. أسألك مسألة المسكين.. وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل.. وأدعوك دعاء الخائف الضرير.. سؤال من خضعت لك رقبته.. ورغم لك أنفه،.. وفاضت لك عيناه،، وذل لك قلبه » .

فهذا وأمثاله من آثار التوبة المقبولة.. فمن لم يجد ذلك في قلبه فليتهم توبته.. وليرجع إلى تصحيحها.. فما أصعب التوبة الصحيحة بالحقيقة.. وما أسهلها باللسان والدعوى!.. وما عالج الصادق شيئًا أشق عليه من التوبة الخالصة الصادقة.. ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إن التائب تحصل له كسرة خاصة لا تكون لغير التائب.. كسرة تامة قد أحاطت بالقلب من جميع الجهات.. ألقته بين يدي سيده طريحًا ذليلاً خاشعًا.. منكسرًا سريع الدمعة.. قريب الذكر لله.. مخبتًا خاشعًا منيبًا.. رطب القلب بذكر الله.. لا غرور ولا عجب ولا حب للمدح.. ولا معايرة ولا احتقار للآخرين بذنوبهم.. وإنما دائم الفكرة في الله سبحانه وتعالى عز وجل..

أيها الحبيب

سرت معي في دروب نالك فيها من الخوف الكثير ، ومن التعب أكثر لأصل بك إلى جادة طريق التوبة

رجائي في اللّه كبير أن تكون قد هانت الدنيا في عينك فحين يبدأ بصرك يفارق حروفي

أوصيك ونفسي

بتقوى اللّه . انفض غبار الدنيا.. ألق رداء الكسل عليك بالعزيمة الصادقة في مجاهدة النفس

اجعل آخر حرف من هذا الكتاب بداية للتوبة الصادقة تسبقها دمعة تُجَمِّل مآقيك وينفتح لها قلبك

« وَبَشِّرْ الْمُخْبِتِين »

الخاتمة

كان بعضهم يقول في مناجاته :

ليت شعري ما اسمي عندك يا علام الغيوب؟

وما أنت صانع في ذنوبي يا غفار الذنوب ؟

وبم تختم عملي يا مقلب القلوب؟

الخاتمة نسأل الله حسنها

إخوتاه :

بهذا أكون قد قلت كل ما عندي. . وكل ما أطيقه. . والله الموفق. . إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا باللَّه عليه توكلت وإليه أنيب. . وقد فعلت ما عليَّ. . وأبرزت لكم ضعفي. . وما زلت أعالج مسمار الهوى في قلب العاصي. . أميل به تارة إلى جانب التخويف. . وتارة إلى جانب التشويق. . ولما ضعف الماسك بإزعاجي له اتسع عليه المجال فجذبته. . فلعلي جذبت حب المعصية من قلوبكم.

أنفت لصبي اللعب من بيع جوهر العمر النفيس للهوى. . فشددت عليه في الزجر ليعلم بعد البلوغ أني لم أخنه بالغيب.

توبوا إخوتاه.. فلعلكم لا تمكثون مليًّا. . فتحملون على أعناق الرجال.

يا صبيان التوبة. . قد عرفتم شرور أعطان الهوى. . فارحلوا طالبين طهارة التقوى. .

حثوا مطايا الجد ولا يلتفت منكم أحد. . وامضوا حيث تؤمرون. . توكلوا على الله. . توبوا ولا تخافوا. .

اقبلوا ولا تلتفتوا. . امضوا إلى ربكم. . والله يعفو عنا وعنكم. . ويرحمنا وإياكم . .

اللهم هذا الجهد وعليك التكلان . . وهذا العمل ومنك التوفيق. . اللهم تُبْ علينا توبة نصوحًا. . اللهم تُبْ علينا توبة تُرْضِيك. . اللهم تقبل توبتنا. . واغسل حوبتنا. . وامحُ خطيئتنا. . وارفع درجتنا. . اللهم اغفر لنا وللمسلمين والمسلمات . . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

وكتبه أضعف الخلــق وأفقر الورى إلى اللّه

محمد حسين يعقوب

غفر اللّه له ولوالديــه ولزوجاته وأولاده

ولجميع المسلمين والمسلمات

المعتمدية غرة جمادى الآخرة ١٤١٧هـ

الوداع

يا صاحب الخطايا لست معنا   يا مقبلاً على الهوى ما أنت عندنا

ضاعت حيلي في تحصيل قلبك   اشتدت حيرتي في تلافي أمرك

واعجبًا

أخوفك عواقب الأمور وما تتوب   اشرح لك أحوال الصادقين وما تتوب

ومتى سقطت شهوة العليل دنا الموت

قد أوقدت نار المواعظ إلى جانب كسلك   ونفس عزيمتك شديد البرودة

قال الخطابي : كل من عثر منه على حرف أو معنى يجب تغييره فنحن نناشده اللّه في إصلاحه وأداء حق النصيحة فيه ، فإن الإنسان ضعيف لا يسلم من الخطأ إلا أن يعصمه اللّه بتوفيقه.

ونحن نسأل اللّه عز وجل ذلك .

ونرغب إليه في دركه إنه جواد وهاب

الموضـــــــوعات	الصفحـــة

* * *

مركز الصحيفة للطباعة والكمبيوتر
يسري محمود لبيب وشركاه
تليفاكس ٢٩٧٨٤٧٤ القاهرة